مجلة شهرية

نـــــور يسوع المسيح المسيـــح

ΦΩΣ الله ΧΡΙΣΤΟΥ

عدد: 155 Issue No: 155

شهر تموز July 2020

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

هامتا الرسل بطرس وبولس

يا مُتقدِّمَيْنِ في كراسي الرسل ومعلِّمَي المسكونة.

تشفَّعا الى سيِّد الكُلّ ان يمنح السَّلام ونفوسنا عظيم الرحمة.

محتويات العدد

2	أَعظم مواليد النساء
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	الإيمان شرط مُسبَق للصلاة
5	عن ضدّ المسيح
6	عظة عن مولد يوحنا المعمدان
7	السبيل إلى السلام
8	النضال المشروع
9	مَن قَالَ لأخيه رَقَا
10	برسكيلا وإكيلا
11	-------
12	أعمال الرَّحمة
13	-------
15	كيفَ عاش الإنسان
16	بين الحسد والظُّلم
17	عن الرجاء واليأس
18	الإنسان المحاجج
18	ما هي معاينة الله
19	اشتهيتُك بالليل
21	الأطفال والصلاة
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

أعظم مواليد النساء

للقديس غريغوريوس النيسي

على ما أعتقد أنَّ هذا هو سِرّ **عظمة إيليا**، ومَن جاء بعده **بروح إيليا وقوته**، الذي «لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ» (مت١١: ١١). إنْ كان تاريخ **حياتهما** يُعطي دُروسًا كثيرة، فمن المؤكد أنَّ الذي نتعلمه قبل كل شيء هو نَمَط القداسة. فالإنسان الذي ثَبَتَتْ أفكاره على ما لا يُرى، ينفصل بالضرورة عن كل نشاطات الحياة العادية، ولا يمكن **تشويش** أحكامه عن الصلاح الحقيقي **وتضليلها، بالخداع الذي ينشأ من الحواس.**

كلاهما (النبي ايليا والنبي يوحنا المعمدان) عزل ذاته من صباه عن المجتمع البشريّ، وبصورة ما عن الطبيعة البشريَّة، بتجاهلهما للأنواع المعتادة من الطعام والشراب، وتغربهما في البرية. لقد أشبعا حاجتهما بالغذاء الذي صادفهما في طريقهما، **حتى تبقى حاسة التذوق لديهما بسيطة وغير مُدَلَّلة**. وإذ تحرَّرت أُذُنَيْهِمَا من كل ضجيج مشوش، وأعينهما من كل نظرات زائغة، بلغوا **إلى حالةِ صفاءٍ للنفسِ لا تتعكَّر**، ووصلوا إلى ذلك العُلوّ من الإستحسان الإلهي، الذي سجله لنا الكتاب المقدس عن كل منهما.

فقد صار **إيليا** مثلًا، هو الموزع **لِنِعَمْ الله الأرضية**، فكان له سلطان أن يغلق – كما يريد – **السماء ضدّ الخُطاة**، وأن يفتحها **للتائبين**. وبالفعل، لم يُقال عن **يوحنا المعمدان** أنه صنع أية معجزة، ولكن الموهبة التي فيه قد أعلنت وانكشفت من خلال ذلك **الذي يرى الأسرار، كأعظم من جميع الأنبياء.**

كان هذا بالحقيقة هكذا، من البداية إلى النهاية، لأنَّ كلاهما قد قدَّسا قلبيهما للرَّب، حتى أنهما **لم يتلوَّثا بأي أهواء أرضيَّة**، لأنه لم يخالط حُبهما لله محبة زوجة أو طفل أو أي نداء بشري آخر، بل لم يحسبوا حتى قوتهم اليومي مُستحقًا للتفكير أو القَلَق. إذ أظهروا أنفسهما أنهما أكثر أهمية من أي ملابس فاخرة، وتدَّبروا بما قدمته إليهما المصادفة، أحدهما كان يلبس **جلود معزى**، والآخر كان يلبس **من وبر الأبل**.

أنني أعتقد أن روحهما ما كانتا تصلا إلى هذه الدرجة الرفيعة، لو أنَّ زواجًا أضفى عليهما ليونته.

إنَّ هذا ليس مُجرد سَرد للتاريخ، بل هذا كُتِبَ لإنذارنا نحن (١ كو ١٠: ١١)، لكي ما نُوَجِّه حياتنا بحياتهم.

فماذا نتعلمه إذن؟

نتعلم أن الإنسان الذي يشتاق للإتحاد بالله، يجب عليه أن يُحرِّر ذهنه – مثل هذين القديسين – **من كل الإهتمامات العالمية**، لأنه مستحيل على الذهن المشتَّت في أمور كثيرة أن يجد طريقة إلى معرفة ومحبة الله.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد هامتي الرسل بطرس ويولس

في كفرناحوم ١٢-٧-٢٠١٨

« أَشرقَ اليومَ للأَقطارِ موسمٌ بهيجٌ. هو عيدُ الرسولَينِ الحكيمَينِ بطرسَ وبولس. هامتَي الرسلِ الموقَّرين. ونحن نُعيِّدُ بالتسابيحِ والتَّرانيم. مُحتفِلينَ بهذا اليومِ المجيدِ وهاتفين: السلامُ عليكَ يا بطرسُ الرسولُ الصَّديقُ الصَّادِق، لمعلِّمِكَ المسيحِ إلهِنا. إفرحْ يا بولسُ المحبوبُ جدًّا. الكارزُ بالإيمانِ ومعلِّمُ المسكونة. فيا أيُّها الزَّوجُ المقدَّسُ المنتَخَب، بالدَّالَّةِ التي لكما، تشفَّعا إلى المسيحِ الإلهِ أن يُخلِّصَ نفوسَنا.» **هذا ما يقولهُ ناظم تسابيح الكنيسة أفرام أسقف كارياس.**

أيها الإخوة المحبوبون بالمسيح،

أيها الزوار المسيحيون الأتقياء،

إنَّ مواطني أُورشليم العلويَّة **بُطرس صخرة الإيمان، وبولس خطيبُ كنيسة المسيح**، زوجيّ الثالوث القدوس وأدوات الرُّوح القُدُس. قد جَمَعانا اليوم في هذه الكنيسة وهذا الموضع والمكان المقدس في مدينة كفرناحوم لكي بشكرٍ ووقارٍ نُعَيِّد لذكرى **هامتي الرُّسل المقدسة.**

يتميزُ الرسولان بولس وبطرس عن باقي الرُّسل القديسين بأنهما استبانا من ربنا يسوع المسيح آنيةً مختارةً ومدبري أسرار الله ومعلمي المسكونة.

إن كتاباتهم ورسائلهم المقدسة الملهمة من الله يشكلّون ميراثًا ووديعةً لا يمكن دحضها أو إنكارها، فقد تُركت لنا نحن البشر: من أجل **(خلاص نفوسنا)** «الذي يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ. الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ إِنْ كَانَ يَجِبُ تُحْزَنُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ... نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النُّفُوسِ.» (١بط ١: ٦ -٩) كما يعلّم بطرس الرسول.

وبكلامٍ آخر إنّنا نضمنُ ونتيقنُ من المجدِ العتيد، أي خلاصنا، وذلك من خلال أحزان وتجارب هذه الحياة الحاضرة، فلدينا مُعينٌ في التجارب والاحزان هو الرُّوح القُدُس الذي يساعدنا ويشدِّدُنا كما يكرز القديس بولس الرسول قائلًا:« فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ. وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا.» (رو٨:٢٢-٢٣) وَكَذلِكَ الرُّوحُ (القُدُس) «أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا، لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا.» (رو٨ :٢٦).

أيها الأخوة الأحبة، لقد أتى مخلصنا يسوع المسيح إلى العالم لا لكي يحُرّرنا من قيود الخطيئة أي من ظلام الضلال والجهل فقط، بل لكي يقود الإنسان إلى الحرية والحقيقة أيضًا. إذ أنَّ الرَّب يؤكدُ قائلًا:« وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي» (يو١٨ :٣٧). **(وهذا يعني أنَّ كلَّ مَنْ لديهِ رغبةً بأن يعرف الحقيقة ويسمعها بفهمٍ ويتقبلُ صوت تعاليمي ويتقيّدُ ويلتزمُ بها سيصبحُ مواطنًا في مملكتي الروحية).**

فجميع الرُّسل القديسين بشكلٍ عام، وبطرس ومن ثمّ بولس بشكلٍ خاص قد سَمِعوا لصوت الرّب وشَهِدوا للحقيقة. لهذا فإنَّ ربنا يسوع المسيح خاطب بطرس قائلًا: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا». (متى١٦: ١٧-١٩) وأما عن بولس فعندما دعاهُ قال عنهُ:«إِنَّ هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ» (أعمال٩:١٥-١٦) فقد:«اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا». (٢كو١٢:٤) وقَالَ لَهُ الرَّب: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ». (٢كو١٢:٩).

أيها الأحبة، إنَّ السّر الخلاصيّ، سِرّ التدبير الالهيّ في المسيح، لا يمتدُ إلى داخل العالم فقط بل إلى الأبديةِ ومنتهى الدهر وذلك من خلال **الكنيسة** أيّ جسد المسيح السريّ ومن خلال الذين «سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ (**الإلهية**).» (لو١:٢) ، لذلك فإنّ **الرُّسل** ومن ثم خلفائهم الرُّعاة الروحيين ومعلِّمي الكنيسة والفاعلين والعاملين في حقل الرَّب، هُم شهود عيانٍ وخدّام الكلمة الإلهية والكرازة الإنجيلية. فهؤلاء هم الذين في الرُّوح القُدس يُكمِّلونَ على الأرضِ وفي الناس عمل يسوع المسيح والرُّسل كما أوصاهم مخلصنا قائلًا: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا» (مر١٦:١٥).

إنّ الكرازة بإنجيل المسيح يخص ويتعلّق بكمال إيماننا المسيحي الذي دافِعَهُ العظيم هو **خلاص نفوسنا** كما يكرِزُ القديس بولس الرسول قائلًا: «فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا. قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ». (رو١٣:١١-١٢).

لهذا فان هامة الرُّسل القديس بطرس الرسول يدعوا المؤمنين اليوم أن يكون يسوع المسيح رئيس **حياتهم** مِثالًا ونموذجًا لكي يقتدوا ويتمثلوا به، كما يؤكد الرَّسول بطرس على هذا في رسالته الأولى اذ يقول: « لأَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (١بط٢:٢١-٢٢).

نتضرعُ إلى من نُكَرِّمهم ونعيِّدُ لهم اليوم زوجيّ المسيح المقدس بطرس وبولس لكي بتوسلاتهم **وبشفاعات سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم** أن نحظى برحمة ورأفاتِ المسيح إلهنا ومخلصنا. آمين

الداعي لكم بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الإيمان شرط مُسبَق للصلاة

الشيخ موسى الأثوسي

الصلاة تستوجب الإيمان. الذين لا يُصَلُّون هم من غير معونة، متردِّدون **عُميان** ومتروكون لوحدهم. إنهم ملتصقون بالأرض، لا يعرفون كيف يطيرون عاليًا أو يحترقون مُشرقين في السَّماء، ويتمتعون بالدعم السماوي. انهم مُمَغْنَطُون، مُقَيَّدُون، مرتبطون بقوةٍ **بما هو فانٍ أي بالأمور الدنيوية.** ليس الانفصال سهلًا بالنسبة لهم. أنهم يحاولون أن يكنزوا كنوزًا على الأرض. **إنهم يسعون باستمرار نحو المتعة لكي تجلب لهم السعادة،** ولكنها مع ذلك تجلب لهم **المزيد من الألم.** إنه لَأَمْرٌ مُحزنٌ ومُؤسفٌ أن يبحثوا **عن الفرح في الوحل.**

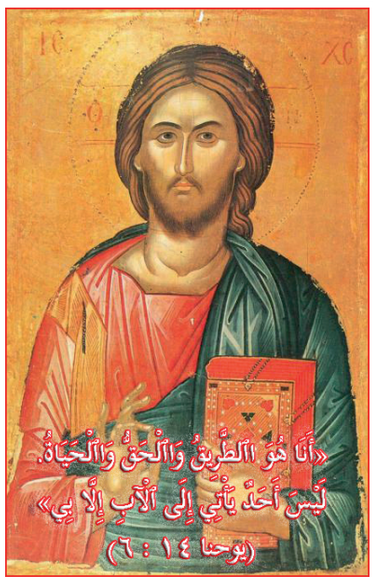

الصعود إلى السماء **يبدأ بالندم، بالتوبة الحقيقية، بتأنيب الضمير.** يجدر بنا أن نتذكر أننا لم نُخلَق **للعودة إلى التراب.** حياة الأهواء لا تجلب الفرح والارتياح في الواقع. **التعلّق بشدّة بالأمور الدنيوية هو خطأ فادح وَلَهُ كُلفته من النتائج المُرَّة.** الارتفاع فوق ما هو منظور ليس بلا جدوى. يمكن لأيٍّ كان أن يقوم به. ما يحتاج إليه الإنسان هو **أن يريد هذا العمل، أن يشتهيه.** في البداية، نكون متردّدين خجولين خائفين ولا نريد أن نخاطر بالكثير. قد نجد الأمر في البداية غير قابل للإدراك، غريبًا وغير طبيعي ومستحيلًا، وفي كل الأحوال ليس لنا.

نظن أننا نلعب لعبة قبيحة وأثيمة، وأن خطيئتنا أكبر من كل هذه الامور. لكن **الصلاة ليست للقديسين وحدهم.** إذا كنت **تُصلّي** ببساطة وتواضع، **يصير قلبك أكثر حلاوة، مستنيرًا، متشددًا وهادئًا.** يشعر بأن الصلاة تستحق العناء. يشعر بالغبطة، الابتهاج، الأمن، والتشدُّد والرَّاحة. هو يُدرك أنَّ الصلاة هي حاجة ماسَّة للرُّوح، حركة طبيعية، وهي وظيفة **إلهية.** تتحول الصلاة إلى عمل صالح أكثر منها عادة شكلية، فرحةً يومية وهدية. كما يطلب الجسد غذاءه اليومي لكي يصون ذاته، كذلك تفعل نفسنا الخالدة.

من المستحيل أن نحب الله من دون أن **نتعلّق به ونتكلّم معه ونصلي.** ينبغي بنا أن نفكر به دائمًا وأن نستدعيه. ذكر الله بحدِّ ذاته هو صلاة. أنتم تتذكرون المحبوب وتغتبطون. استدعاء الله هو مصدر فرح عظيم وسلام وبركة. من دون الصلاة، تكون النفس **لاهثة وضعيفة ومريضة.** الصلاة تضفي الصحة الروحية والاتزان والفطنة والاستنارة والنعمة. **الصلاة تسلّحنا ضد الخطيئة.** الذين يُصلّون يدخلون في محادثة مع الله ولا يشغلون ذواتهم **بالأمور الفانية.** إنهم يتعلّمون التواضع والرصانة والبساطة والمحبة. إنهم أولاد الله المحبوبون. الصلاة هي عطية عظيمة من الله لنا.

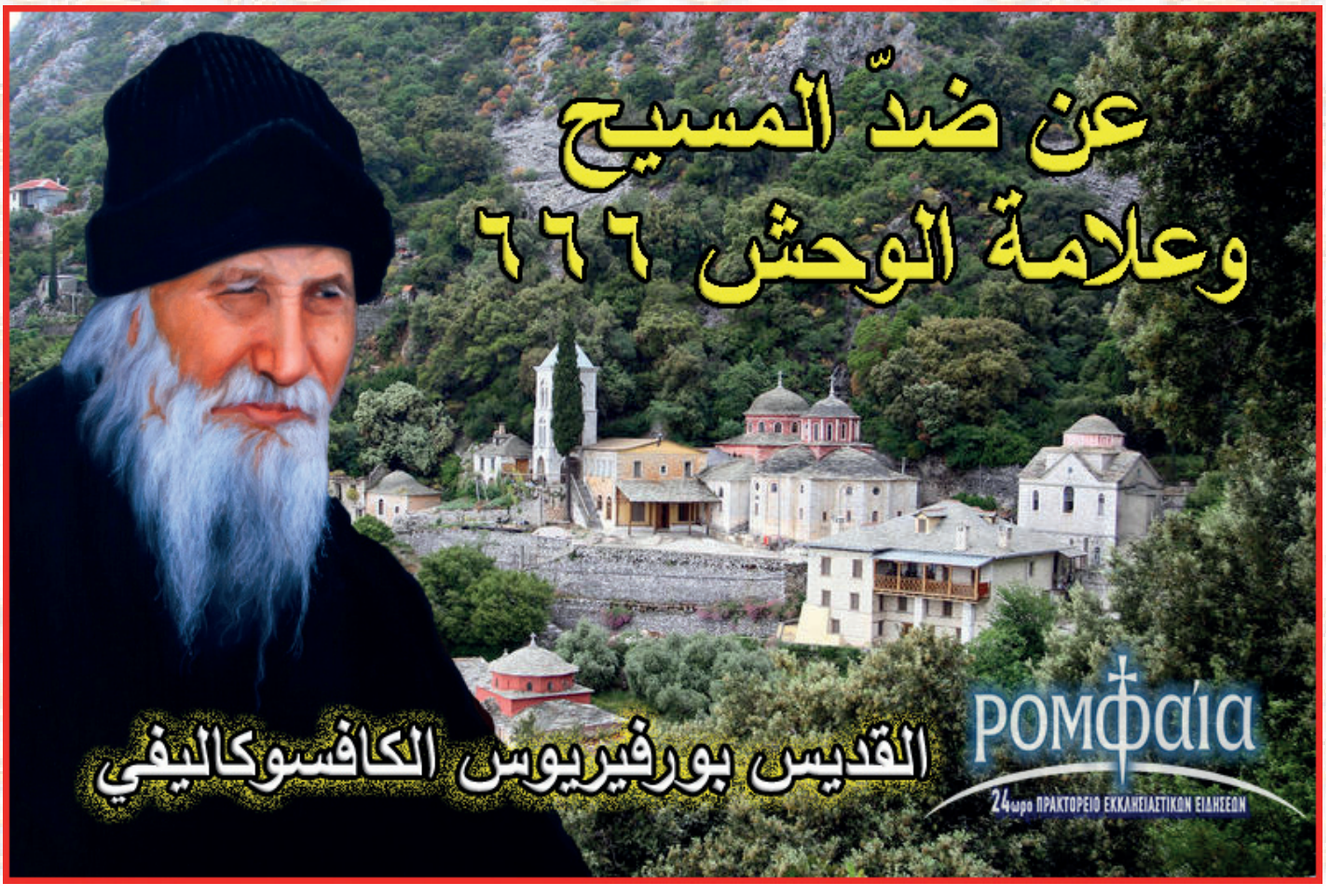

سألني الشيخ: « قل لي يا بُنَيّ ماذا قال **الشيخ أميليانوس عن ٦٦٦ وضد المسيح**؟».

فأجبته:«**لقد قال لنا في آجتماع قبل أيام قليلة بألّا نهتمّ. علينا أن نكون مهتمين باقتناء علاقة حيّة مع المسيح ولا نُولي آهتمامًا كثيرًا لضدّ المسيح، كي لا يصير هو مركز حياتنا لا المسيح**».

فإذ **بالشيخ (القديس بورفيريوس)** يضرب سريره بيديه ويقول: «ماذا قلتَ يا بُنيّ؟ المجد لك أيها الإله، أني وجدتُ أبًا روحيًا يوافقني! يا بُنيّ، هؤلاء الآباء الروحيون هنا في العالم، ماذا يفعلون؟ لقد أوقعوا النفوس في الاضطراب، وخلقوا الكثير من المشكلات في العائلات **بال ٦٦٦**. هناك أناس في العالم لا يستطيعون النوم ويتعاطون عقاقير نفسيّة وحبوب للنوم لكي يغفوا. ما هو هذا الأمر؟ المسيح لا يريد هذه الأشياء يا بنيّ. أأقول لك شيئًا؟»

فقلت: «ماذا أيها الشيخ؟»

فقال لي: « بالنسبة لنا نحن المسيحيين، عندما نعيش خبرة المسيح لا يوجد **ضد المسيح**. قُل لي شيئًا، أنا أجلس على هذا السرير، أتستطيع أنت أن تجلس؟».

أجبته: «لا، أيها الشيخ».

فسألني: «لماذا؟»

فأجبتُ: «لأني إن جلستُ فسوف أسحقك».

فسألني مجددًا: «أَلَنْ تستطيع الجلوس هنا أبدًا ؟».

فقلتُ له: «عندما تمضي، أَجلِسُ أيها الشيخ».

فقال لي: «بالضبط يا بُنيّ. الأمر نفسه يحصل في النفوس. عندما يكون المسيح في داخلنا، أيستطيع **ضدّ المسيح** الحضور؟ أيستطيع أي شيء معاكس أن يدخل إلى نفوسنا؟ لهذا السبب يا بُنيّ، نحن لا نقتني المسيح في داخلنا اليوم ولهذا السبب **نهتمّ بضدّ المسيح**.»

عندما نحوي المسيح في داخلنا كل شيء يصير فردوسًا. **المسيح هو الكلّ** يا بُنيّ وليس علينا أن نهابَ مُعاكِسَهُ. هذا عليك أن تخبره للناس دائمًا. وَلِأَقُلْ لك شيئًا. إذا جاء الآن **ضدّ المسيح** شخصيًا ومعه جهاز يُطلِق **أشعة لايزر وَخَتَم عَلَيَّ ٦٦٦ بالقوّة**، فلن أستاء. سوف تسألني: « أيها الشيخ أليس هذا **ختم ضد المسيح**؟».

نعم، ولكن حتى ولو كُتب عَلَيَّ **٦٦٦ ألفَ مرة بأشعة الليزر**، بشكل غير قابل للإزالة، فلن أستاء. لماذا؟ لأنَّ يا ولدي، **الشهداء الأوائل أطاحوا بالوحوش الضارية**، وعندما رسموا إشارة الصليب صارت **الوحوش الضارية** كالحملان. لقد رموهم في البحر، ولكن عندما رسموا إشارة الصليب صار البحر كمثل أرض جافة وساروا عليها. رموهم بالنار، وعندما رسموا إشارة الصليب بردت النار. يا بُنيّ المبارك، ماذا أصبحنا اليوم؟ أنؤمن بالمسيح؟ بصليبنا؟ **لماذا أتى المسيح؟** ألم يأتِ ليشدّدنا في ضعفاتنا؟

هذا ما عليك أن تقوله للشيخ. «وعليك أن تخبر الناس **ألّا يخافوا ضدّ المسيح**. نحن **أبناء المسيح، أبناء الكنيسة**.»

كل هذا ترك أثرًا كبيرًا عَلَيَّ.

نقلتها إلى العربية ماريا وسلوى الأشقر

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

بمناسبة مولد القديس والنبيّ العظيم يوحنا المعمدان

مرتّبة على قول السيّد المسيح انّهُ لَمْ يَقُم في مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمدان.

وهي تتضمّن الحثَّ على القيام بحقوق الله الواجبة كالعشور والابكار والنذور والباكورة من الأثمار والزراعات وفوائد التجارات. وأنَّ المسيحيين إنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّهم على الكَتَبَة والفريسيين لا يدخلون ملكوت السموات.

انَّ شرف الفضيلة عظيمٌ وشأنها جليلٌ. لانّها ترفع محبها الى السمآء وتشبّههُ بالملائكة وتُمَجّده في المحافل وتنقلُه الى أماكن النعيم وتؤهّلهُ لمديح سيّدِه **كيوحنا المعمدان**. لانَّ **يوحنا** لشرف فضيلتهِ استحقَّ قول **السيِّد المسيح**: انهُ لم يَقُم في مواليد النسآءِ اعظمَ منهُ.

فإذا كان هذا الذي تربَّى في القِفَار واستأنسَ بالوحوش البريّة، ولم يسمَع نبيًّا ولا مُبَشِّرًا، ولا سَمِعَ بعابدٍ، ولا مُتقشِّفٍ. أَظهَرَ طرائِق الأبرار واصلَح مسالك الفائزين، فالذين يسمعون العِظات وَيُنَبَّهُونَ بالتعاليمِ الالٰهيّة ويَقتَدُون بالشريعةِ الفاضلة وهُم مع ذلك مُتَغَافِلون، كيفَ لا يُعَاقَبُون.؟

ومع أنَّهُ لا يُثَقَّل عليهم بطلبِ شيءٍ اكثر من الواجبِ عليهم، يتضجَّرون من الحقوق الواجبة، وَيُعرضُون عن الفرائض اللّازمة، ويتمسَّكون بالاباطيل الزّائلة، وينهمكون في محبَّة اللّذات الفانيّة. حتَّى أدَّاهُم ذلك الى اهمال الحقوق الواجبة والسُنَن المندوب اليها. واذا كان الذين يجب عليهم الخِراج **لملوك الارض** اذا اهملوا تقديمهُ يُضَيَّق عليهم ويُسجَنُون، فكيفَ لا نُعَاقَب نحنُ اذا اهملنا القيام بما يجب علينا من حقوق الله.

فانْ قلتَ ما هي الحقوق اللّازمة لنا والمفروضة علينا. اجبتك انَّها هي **العشور والابكار والنذور والباكورة** من الثمر والزّرع وربح المتاجر واشباه ذلك بمُوجَب **قولهِ تعالى في التوراة**: افرزوا عشورًا من كل غلاتكم وزراعاتكم مما تغلُّ ارضكم كلّ سنةٍ لله ربّكم. وكُل بكرٍ يولَد من الناس الى البهائِم فانهُ لي يقول الربّ.

ويقول على **لسان ملاخيا النبيّ موبخًا بني إسرائيل هكذا**:واما انتم يا بني يعقوب فلم تتوبوا عن اثمكم . ومنذ آبائكم الى الآن انتم تميلون عن وصاياي ولم تطيعوا اقوالي ولم تعملوا بها كما يجب. اقتربوا منّي لاقترب انا منكم. وان قُلتم بماذا نُقبِل اليك. قلتُ: هل انتم تظلمون الآلهة الغريبة كما تظلموني يقول الرَّب. وانْ قُلتم بماذا ظلمناك. قلتُ بالعشور والابكار لانكم تلعنون بافواهكم واياي تطلبون. يا جميع الشَّعب اهدوا العشور الى اهرآءِي لتصير طعامًا في خزائني وجرِّبوني في هذه يقول الرَّب القادر، لافتح لكم طاقاتٍ في السمآءِ، واصبَّ عليكم الارزاق صبًّا، حتَّى تقولوا كفانا كفانا. وانهي الدودة ان تُفسِد اثمار ارضكم ولا تُتلف شيئًا من كرومكم، ويمدحكم جميع الشعوب.

ويقول **الانجيل المُقَدَّس لمشايخ اليهود**: الويل لكم ايُّها الكَتبة والفريسيون المراؤُون لانكم تُعشِّرون النعنع والسُبت والكَمّون وتتركون عظائِم النَّاموس التي هي الحكم والرحمة والايمان. قد كان ينبغي لكم ان تعملوا هذه ولا ترفضُوا تلك. ومعناهُ انكم تتظاهرون باخراج العشور والقيام بالحقوق الواجبة فتعشّرون الاشياء الدنية التي لا ثمن لها كالنعنع والسُبت والكمون لتتظاهروا للناس بذلك وتُهملون **عشور الاشياء النفيسة. ومع هذه الخصال الذميمة تُعرضون عن الحكم والرحمة والايمان**، وقد كان يجب عليكم ان تفعلوا الامرين جميعًا.

ويقول الربّ مُخاطبًا هٰرون وبنيه: انَّ كُل بواكير الزيت وبواكير الخمر وبواكير الحنطة واوائل كُل الثمرات وكُل مُحرَّمٍ لله وكُل بكرٍ من الناس الى البهائِم قد جعلتها لكَ ولبنيكَ ولعشيرتك.

وقِيلَ **في القوانين المقدّسة**: وبواكير ثمرات الارض مَنْ كانت لهُ فليذهب بها الى الكنيسة واوائل البيادر واوائل اللبن واوائل العسل واوائل الصُّوف واوائل عمل كُل انسانٍ. ومعنى هذا مَنْ كانت لهُ بساتين او

كروم او زروع فاوّل ما يجني من ثمراتها كُل سنة يُقدِّمهُ هديّةً لله ربِّهِ وتُصلِّي عليها الكهنة لتكثير خيراتهُ وتتضاعَف الأرزاق عندهُ، ويأكل منها الذين يخدمون بيت الله ويفرّقون على المساكين. وكذلك مَن لهُ بقرٌ وغنمٌ وخلايا عسل وغير ذلك من جميع ما يُستغَلُّ في اوّل السنة يعمل هذا العمل. ومن لهُ مواشٍ يجب عليهِ في كل سنةٍ ان يقدِّم لله من اوّل اولادها واوّل البانها واوّل جزاز اصوافها. وكذلك ما يولَد من بني البَشر فانَّ البِكر يكون لله يجب على والديهِ ان يحملا ثمنهُ الى الكنيسة بحسبما يتراضيان مع الكهنة عليهِ، وكذلك كل بكر بهيمةٍ. وامَّا البقر والغنم والمعزى فتُحمَل أبكارها الى بيت الله وامَّا الحمار فيُعوَّض عنه بخروفٍ. فاذا كانت هذه الاشيآء كلها مفروضةً على الاسرائيليين **مع كثرة عتوّهم وغلظ اعناقهم** وكانوا يُوَبَّخُون على اهمالها، فكيف لا يجب علينا ان نتيقَّظ من نومنا ونصحو من سَكرتنا ونقوم بالحقوق الواجبة علينا. **وكيف لا يُقلقنا دائمًا قول ربنا:** انَّكم اذا لم يزد برّكم على الكتبة والفريسيين لا تدخلون ملكوت السماوات . واذا كان شرط دخول الملكوت الزيادة على أعمال أولئك، فماذا يُقال للناقصين عنهم.

وينبغي ان نعلم انَّ الله انما فعل هكذا مع الناس ليجرَّب الطائعين لهُ كما يفعل الاب مع البنين، فانّه يعطيهم المال او الاثمار وغير ذلك ثمَّ يسألهم ان يعطوهُ شيئًا تجربةً لهم، فالذي يُبادر اليهِ مُسرعًا ويعطيهِ ما بيدِهِ فَرِحًا مُبتهجًا يُقبِّله ويسرُّ بهِ ويعوّضهُ اضعافًا كثيرة. **وإلَّا فهو القائل على لسان النبيّ:** ايَّ بيتٍ تبنون لي. السمآء كرسيٌّ لي والارض موطأُ قدميَّ. ان جعتُ فلا اقول لك ، لانَّ لي الدنيا وكُلّ ما فيها. لا آكل لحم الثيران ولا اشرب دم التيوس، ولا اسكن في البيوت المصنوعة بالايدي. وانما سمح الله تعالى ان يكون في الدنيا اناسٌ اغنيآءُ واناسٌ فقرآءُ، وامرَ الاغنيآءَ ان يُساعدوا المساكين قاصدًا اصلاح الفريقين جميعًا، لانَّ الاغنيآءَ الذين يقومون بحوائج الفقرآءِ ويُساعِدون المساكين بفرحٍ ونشاطٍ طاعةً لربِّهم، يقبلهم في ملكوتهِ كما قال تعالى، ويُسمعهم الصوت المملوءَ من كُل فرحٍ ولذَّةٍ **القائل لهم:** تعالوا يا مُبارَكي ابي رِثوا المُلك المعدَّ لكم من قبل انشآءِ العالم. لانّي جعتُ فاطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنتُ عريانًا فكسوتموني وما اشبه ذلك. وامَّا الفقرآءُ الصَّابرون على ضيق المسكنة الشَّاكرون لله من كُل قلوبهم، فانّه يُجازيهم بسعادة الابد ويُعوِّضهم عن الاموال الزائلة بما لا يزول، ويأخذون الطوبى المُعَدَّة للحزانَى والجياع والعطاش والباكين وامثالهم.

أَفَرأيتم مثل هذا الصنيع. أَشاهدتم مثل هذه الكرامة. أسمعتم بمثل هذا الاحسان العظيم. ارايتم كيف يطلب السيّد الرحمة من العبيد ليجازيهم عن الاعراض الزائلة بالجواهر التي لا تزول. أَسمعتم قوله في العشور احملوها الى خزائني في هذه يقول الرَّب: لافتح لكم في السمآءِ طاقاتٍ واصبَّ عليكم الأرزاقَ صبًّا حتَّى تقولوا كفانا كفانا.

من يستطيع ان يَصِف عظمة هذه المواهب وايُّ لسانٍ ينطق بشكر هذه المنن وايُّ عقلٍ يُدرِك شرف هذه المراحم. امَا كانَ الذي يُعطيك عِوضًا عن الواحد مائة ضعفٍ قادرًا ان لا يجعل اخاكَ مُحتاجًا اليك. ولكن لكثرة محبّتهِ لنا وجودة حكمتهِ يريد ان تكون انتَ **سامعًا ومُطيعًا ومُحسنًا ورحومًا** ويكون الآخر المحتاج **مُحتملًا وصابرًا وشاكرًا**، لانَّهُ يبتغي ألَّا يترك شيئًا من انواع الفضيلة إلَّا ويحثُّنا على اكتسابه لِيُحسِن في مُجازاتنا ويُكثِّر خيراتنا ويوصلنا الى النعيم الابديّ الذي لا يزول.

واعلم يا هذا انهُ لكوننا لا نقوم بالحقوق الواجبة علينا ولا نُطيع اوامر ربّنا يتسلَّط علينا الذين يأخذون أموالنا مجانًا. فانّ الكتاب الالهيَّ يقول: ان الاموال التي لم تاكلها الاطهار تُحمَل الى بابل. ومعناهُ انكم اذا كنتم تنظرون الحقوق الواجبة لله عليكم وتستكثرونها وتتغافلون عن القيام بها فيتسلَّط عليكم الذين يظلمونكم ويسلبون اموالكم ويتلفون زروعكم ويجعلونكم اذلَّاء مُهانون.

فسبيلنا ان نُبادر الى اقوال ربّنا ونقوم بالحقوق الواجبة علينا ونتحنَّن على المساكين ونتعطَّف على اخوتنا البائسين لننال المجازاة في الملكوت السماويّ بمحبة وتعطُّف الهنا لهُ المجد الى الابد آمين.

السبيل إلى السلام

القديس نيقوديموس الأثوسي

سبيل تحقيق السَّلام هي كما يلي: أن تنسى تمامًا **سقوطك والخطيئة** وتهب ذاتك للتفكّر في صلاح الله العظيم الذي لا يوصف، وحقيقة استعداده ورغبته أن يغفر كل الذنوب، مهما بلغت خطورتها، داعيًا الخطأة بطرق متنوعة ليعودوا إلى رُشدهم وينضمّوا إليه في هذه الحياة، ومن ثمّ بنعمته يتمجّدوا ويكونوا مباركين إلى الأبد.

وعندما يهدأ عقلك بهذه الممارسة كما بالأفكار والمداولات أخرى يمكنك العودة **إلى سقوطك** والقيام بما ذكرته أعلاه.

عندما يحين الوقت **للاعتراف**، الذي أَحثّكَ على القيام به بتكرار، تذكّر **كلّ خطاياك وبألم جديد وغمّ على حزن الله** وبعزمٍ صادقٍ على عدم إحزانه مُجَدَّدًا، اعرضْ **خطاياك كلها لأبيك الروحي** وطبّقْ القانون الذي يعطيك عن طيب خاطر.

النضال المشروع

الشيخ يوسف الفاتوبيذي

عندما كان **يوحنا السَّابق في السجن**، أرسل اثنين من تلاميذه يسأل المسيح: «أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: «اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: الْعُمْيُ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ.» (متى١١: ٤-٥).

تاريخيًا هذه العلاجات أُجْرِيَتْ للمتألّمين، ولكنها اكتسبت أيضًا معنى مُختلفًا في السِّياق الأوسع **للكتاب المقدس**. **أمراض طبيعتنا** ترمز إلى **أهواء النفس**، حيث يُقيم **قانون الفساد**. هناك عدد قليل من العميان في البشرية جمعاء. **ألا نكون كُلّنا عُميانًا روحيًا عندما لا نكون قادرين على تمييز هدفنا الرئيسي ومقصدنا؟** كل من يُعلّق رجاءه **على مصالح العالم هو أعمى**؛ وهو لن يستعيد نَظَرَهُ إلّا إذا وضع إيمانه ورجاءه في **الرَّب**. وعلى المنوال عينه، إذا سمح لنفسه بأن يكون **عبدًا لِطُرق الحياة غير الطبيعية الأخرى**، ووضع أمله واهتمامه فيها فقط، **فهو يكون أَصَمًا وَمَجْذُومًا ودائم الحدبة ومسكونًا من الشيطان**.

ربنا يسوع الذي «أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا» (متى ٨: ١٧) هو **المُعَالج الحقيقي لطبيعتنا الفاسدة**. كل من يُؤمن به ويتبعه يُشفى. إنَّ لأمله الأكثر نقاء، الذي احتمله طوعًا لخلاصنا نفس المعنى، لأنه لا يوجد **في المسيح أي هوى شرير**. «لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (بطرس الأولى٢: ٢٢). يسمح الرَّب بعذاب أكثر أعضائه قداسةً من أجل علاج **طبيعتنا الفاسدة**: إنه يُسَلِّم كل واحد من أعضائه المقدسة إلى ما يتوافق مع كل جزء من جسدنا الخاص الذي عَصَى الوصية **وارتكب الخطيئة**.

مَدَّ آدم ذراعه ليلتقط **ثمار العصيان**؛ فبسط ربّنا ذراعيه على الصليب. لقد جرّدوا ربّنا من ثيابه وهو شفى فراغ الأجداد من النعمة الإلهية.

لقد رفعوا صدر ربّنا وهو **شفى حواء التي نُحِتَت من ضلع آدم**.

ثُقِبَت ساقاه حتى يتمكن من علاج أقدام آدم المتّجهتين نحو **ارتكاب الخطيئة**.

لقد بصقوا عليه وصفعوه، من أجل تطهير **عار حواء من التألّه الكاذب**، الذي كانت تسلك فيه بتحريض **من العدوّ**.

كان يمسك **عصا السخرية** في يديه لكي يتمكن من التوقيع على حلّ **الذَّنب البشري وإلغاء صكّ تجاوزنا**.

لقد ذاق **الخَلَّ والمُرَّ** لكي يبصق **طعم الخطيئة الممتع**.

لقد اتّخذ في كل جزء من أجزاء جسده المقدَّس القانون الملائم لتجاوزاتنا.

تُشير الكتب المقدسة رَمزيًا إلى الطُّرق والوسائل التي تنفع نوايانا، وتُحضّنا على تبنّي **عقلية حماسية**. « لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُنْطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً» (لو١٢: ٣٥). يقول ربّنا: **يتم وصف الاعتدال الشامل مع التواضع بأنه «حزام مفيد حول منطقتنا» يجعلنا على استعداد للمعركة غير المنظورة**.

لماذا يأتي **ضبط النفس** قبل دخولنا في المعركة؟ بما أنَّ **عدوّنا** يبدأ الهجوم باستخدام **أسباب الخطيئة**، فإن ربّنا، كقائد، يبيّن لنا كيف نعفي أنفسنا ونتحرَّر. «يَأْتِي رَئِيسُ هذَا الْعَالَمِ وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ» (يوحنا ١٤: ٣٠). إذا لم يجد **العدوّ** الأسباب والمواد التي يغوينا بها، فلا يمكنه أن ينتصر علينا. «**المصابيح المشتعلة**» ترمز إلى الصلاة العميقة التي ترافقها المحبة، والتي تُشكّل الدرع الذي يُدَمّر **الأسهم النارية** التي يُرسلها الشِّرير. «فَكُلُّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هذَا الْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلاَمٌ وَرَحْمَةٌ، وَعَلَى إِسْرَائِيلِ اللهِ» (غلاطية ٦: ١٦). «مِثْلُ أُنَاسٍ يَنْتَظِرُونَ سَيِّدَهُمْ مَتَى يَرْجِعُ مِنَ الْعُرْسِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتَحُونَ لَهُ لِلْوَقْتِ. طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَتَمَنْطَقُ وَيُتْكِئُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ وَيَخْدُمُهُمْ.» (لوقا ١٢: ٣٦-٣٧).

إنَّ **نواة نضالنا** هي **تسكين الأهواء** ومن ثم الانتصار عليها **بنعمة الله**. ثانيًا، يجب أن نستبدل **الأهواء القديمة بالفضائل**، حتى لا تبقى نفسنا عارية ومن دون **ملابس روحية**. ثالثًا، يجب أن نكون متأهّبين حتى لا نفقد الكنز. وهكذا، فإنّنا نُحقّق الوصية «اعْمَلْهَا وَاحْفَظْهَا». من خلال العمل الفعلي يمكننا أن **نُخضع الرغبات المُتّقدة عمومًا ونضع ظفيرة على الغضب**، الذي هو الشكل الخارجي «للإنسان العتيق». ومع ذلك، يُثار العقل نحو الله ويتحرّر من **هيمنة الأشياء المادية** عن طريق المعرفة الروحية والتأمل.

آباؤنا مُحقّون في التأكيد على أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يجد راحة، **ما لم يُحوّل فكره نحو الله بشكل كليّ، بشكل يفتكر فيه أنه ليس في الوجود إلّا هو والله فقط**. هذا يبدو غريبًا للذين لم يختبروا هذا العمل. لكن، أولئك الذين احتملوا القليل من المتاعب وحوّلوا الأمر إلى مهارة،

فإنهم يتمتّعون بتأمّل الأشياء الإلهية وهم متحرِّرون **من الأفكار الشريرة** وفقا للقول: «الْتَصَقَتْ نَفْسِي بِكَ. يَمِينُكَ تَعْضُدُنِي» (مزمور ٦٢: ٨).

كما هو الحال في الحقول الاجتماعية، يحتاج المرء لأن يكون ذا دهاء ومثابرًا وصاحب نظام، ومثله « **مَن يحب مؤامرات خلاصه**». من يؤمن بالله يخشى الحُكم. كُل من يَخاف الحُكم والانفصال عن الله، يحاول **الانتباه إلى الوصايا**. طاعة الوصايا هي المقصود بها «**المَسَار الضيّق والوَعِر**»، وبالتالي فهو يصرخ بصبر في مواجهة المصاعب. إن ثمرة مثابرة المريض في مواجهة المصاعب هي رجاء النعمة التي لا تخزي أحدًا. هذا الرجاء يفصل العقل عن الأشياء المادية والآمال، من ثم تأتي محبة الله كجائزة.

لقد نصحنا **شيخنا المبارك**: «أولًا، **الشياطين الماكرة تُزعزع سلام العقل بحجج لا تُوصف. ثم تُحرّك شَغَف الرَّغبة لدى جميع الذين لا يحرسون عقولهم**. هذا لكي يُبعِدوا العقل عن التأمل في السَّماوات، وهو ما يجاهد من أجله المؤمنون ويسرعون نحوه بشكلٍ خاص، فإنهم ينشرون أمامه صورة المتعة، ويثيرون فيه العملية البيولوجية مقدمينها كضرورة. بهذا، **إنهم يسلبون عقله من الطاقة الروحية**. إن **الخطيئة السابقة والمشاعر المستبدّة تحملنا على تمييز الشرور النشطة في داخلنا**. من هذه يبدأ إحسان الله بعلاجنا، مُقدّمًا الدواء المناسب على قدر حجم الأذى».

كان **الشيخ الدائم الذكر** يقول أن هناك علاج مُناسب واحد، وهو أسهل طرق العلاج، لا بل هو الطريقة للتحرُّر مُسبقًا. **انّه التواضع** ولا شيء سواه. إنَّ السلاح الوحيد والوسيلة التي تساعدنا على غلبة **العدوّ** وتجعلنا مَنيعين هي الفكر المتواضع **الذي لا يجرؤ الزهو الشيطاني** على التطلع نحوه. إن التحدّث باستخدام الكلمات المتواضعة هو أمر، بينما التواضع هو أمر آخر، وتواضع القلب أمر مختلف تمامًا. الكلام بتواضع والتواضع يولدان من المحبة للعمل الجادّ، من المعاناة بألم من أجل الوصايا ومن الفضيلة. إنها جزء ممّا يسمى بالجزء الخارجي «العَمَلِي». ومع هذا، التواضع الحقيقي هو عطيّة **إلهية** قويّة تمنحها **النعمة الإلهية** لجميع الذين تخطّوا العملية وارتفعوا **إلى التأمل بالله بنعمة المسيح**.

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

من قال لأخيه رقًا

القديس بطرس خريسولوغوس

«وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ.» (مت ٥: ٢٢)

يا إخوتي، إنَّ «**راقًا**» ليست كلمة أو لفظة، بل هي **تهكُّم وتعبير (بالاشارة) عن السخرية والإهانة**. يتم القيام بها عادة من خلال **غمس العيون وشدّ الأنف والنَّحنحة في الصوت**، بطريقة ما بحيث **تلفّق الإهانة**، بينما يكون **مضمون الإهانة** مجهولًا.

لكن الله الناظر إلى نوايانا، يرى رغباتنا، ويحكم على تعبيراتنا، ويأتي بالشخص الذي يسخر من أخيه لمواجهة الحُكم أمام مجمع القديسين، نظرًا لأن السُخرية الموجّهة ضدّ شخص واحد تجلب الإهانة للجميع، وتمتّد حالة عضو واحد إلى الجسد كله، وَأَلَمَ الجسم ينتقل إلى الرأس. وما **سبَّبه المُستهزئ من تهكُّم إلى فرد واحد** . أي إلى أخيه، سوف يدركه ويندم عليه لكونه قد وصل إلى المجمع السماوي، وإلى الله.

«وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ.».

ما يخفيه **الغاضب في قلبه**، وما يستره **المستهزئ في حنجرته**، يضعه **بذيء اللسان** في صوته. ونظرًا لأن الإهانة قد نُطق بها في العلن يُحاسب **بنار جهنم**. فدينونة الخطايا الخفية تتوقّف على قرار المخلص، فيصدر الحكم العادل بموجب دراسة الظروف، **أمّا الخطية في العلن تكون لها عقوبة واضحة وثابتة**.

لكن قد يقول **شخصٌ ما**: كيف يكون لمجرد كلمة منطوقة **مثل هذه القوة الكبيرة**، بحيث أنَّ كُل من قال لأخيه «**يا أحمق**» يلاقي **عقوبة صارمة؟**

يا إخوتي، إنَّ لها مثل هذه القوة العظيمة، عظيمة جدًا، لأنَّ المسيح هو في أخيك، والمسيح هو حكمة الله.

لذلك من قال لأخيه «**يا أحمق**»، فقد نسب **لحكمة الله الحماقة** ...

لهذا الكلام، قد يَرُدّ المستمع: فمن يستطيع أن يخلص؟ من أيها الأخوة؟

بالطبع، الشخص الذي لا يخطئ بقلبه أو بلسانه.

لنسمع ما يقوله **داود النبيّ**: «يَا رَبُّ، مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكَنِكَ؟ مَنْ يَسْكُنُ فِي جَبَلِ قُدْسِكَ؟ ».

وتأتي الإجابة هكذا: «.. **المتكلم بالحقّ في قلبه. الذي لا يغشُّ بلسانه**» (مز ١٤).

إنَّ **الإساءة التي تتدفَّق من اللسان** ليست بأي حال من الأحوال غير هامة. يا إخوتي، إنَّ اللسان هو الذي يصنع الشهداء، اللسان هو الذي يوفّر إكليل الشهادة، بل واللسان أيضًا هو الذي **يصنع المُجدِّف**، واللسان هو الذي يُلقي بالمرء **إلى الهلاك من الإنكار**.

بريسكلا وأكيلا

للقديس يوحنا الذهبي الفم

« أُوصِي إِلَيْكُمْ بِأُخْتِنَا فِيبِي، الَّتِي هِيَ خَادِمَةُ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي كَنْخَرِيَا، كَيْ تَقْبَلُوهَا فِي الرَّبِّ كَمَا يَحِقُّ لِلْقِدِّيسِينَ، وَتَقُومُوا لَهَا فِي أَيِّ شَيْءٍ احْتَاجَتْهُ مِنْكُمْ، لأَنَّهَا صَارَتْ مُسَاعِدَةً لِكَثِيرِينَ وَلِي أَنَا أَيْضًا. سَلِّمُوا عَلَى بِرِيسْكِلَّا وَأَكِيلَا الْعَامِلَيْنِ مَعِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، اللَّذَيْنِ وَضَعَا عُنُقَيْهِمَا مِنْ أَجْلِ حَيَاتِي، اللَّذَيْنِ لَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَشْكُرُهُمَا بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ كَنَائِسِ الأُمَمِ، وَعَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا. » (رو١٦: ١-٥).

بريسكلا وأكيلا يشهد لهم **القديس لوقا** بالفضيلة، **أولًا** حين يقول: «وَلِكَوْنِهِ مِنْ صِنَاعَتِهِمَا أَقَامَ (**بولس**) عِنْدَهُمَا » (أع ١٨)، **ثم بعد ذلك** عندما يُبيّن أن المرأة أخذت **أبُولُّس** بالقربِ منها وشرحت له طريق الرَّب بأكثر تدقيق. انَّ ذلك يُعتبر عملًا عظيمًا، ولكن الأكثر عظمة يظهر في ما يقوله **بولس**، ماذا يذكر إذًا؟ **أولًا يدعوهما عاملين معه، مُبرهنًا أنهما شريكان في أتعابه التي لا توصف، وفي المخاطر التي تَعَرَّضَ لها.**

ثم يقول: « اللَّذَيْنِ وَضَعَا عُنُقَيْهِمَا مِنْ أَجْلِ حَيَاتِي» (رو١٦: ٤)، أرأيت شهادة كاملة مثل هذه، إذ أنه من المرجح أنه كانت هناك **أخطار لا حصر لها في عصر نيرون، (نيرون: ابن بالتبنِّي من كُلُودِيُوسَ)** وأنه كان قد أصدر (**كُلُودِيُوسَ**) أمرًا في ذلك الوقت بأن يرحل جميع اليهود عن روما. (أع ١٨: ٢).

« اللَّذَيْنِ لَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَشْكُرُهُمَا بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ كَنَائِسِ الأُمَمِ»، هنا هو يمتدح ضيافتهما وَدَعْمَهُمَا المالي، مُقَدِّرًا أيَّاهما لأنهما سكبا دمهما، وَقَدَّمَا ثروتهما للجميع. هكذا نرى نساء (**فيبي وبريسكلا**) يتصفن بالنُبل والشهامة، واللآتي لم يتخلفن أبدًا عن السلوك في طريق الفضيلة بسبب طبيعتهن الضعيفة. هذا يمكن توقعه، لأنَّهُ: «لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (غل ٣: ٢٨) ، وما قاله عن **فيبي** قَبْلًا يقوله أيضًا عن **بريسكلا**، لأنه قال عن **فيبي** أنها «صَارَتْ مُسَاعِدَةً لِكَثِيرِينَ وَلِي أَنَا أَيْضًا.» (رومية ١٦: ٢) وعن **بريسكلا** قال: « لَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَشْكُرُهُمَا بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ كَنَائِسِ الأُمَمِ».

«وَعَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا»، لقد كانت **بريسكلا** جديرة بالإحترام جدًّا حتى إنها **جعلت بيتها كنيسة**، بجعل كل من فيه مؤمنين، ومن خلال آستقبالها هي وزوجها لكل الغرباء. إذ أن **بولس** ليس من عادته أن يدعو أي بيت كنيسة، إلَّا حيثما تكون هناك تقوى شديدة، وحيثما تكون هناك **جذور مخافة الله متأصِّلة**. لذلك عندما كتب إلى أهل كورنثوس قال: «يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ كَثِيرًا أَكِيلاَ وَبِرِيسْكِلاَّ مَعَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا.» (١كو١٦: ١٩)، وعن **أنسيمس** كتب قائلًا: «بُولُسُ، أَسِيرُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَتِيمُوثَاوُسُ الأَخُ، إِلَى فِلِيمُونَ الْمَحْبُوبِ وَالْعَامِلِ مَعَنَا، وَإِلَى أَبْفِيَّةَ الْمَحْبُوبَةِ، وَأَرْخِبُّسَ الْمُتَجَنِّدِ مَعَنَا، وَإِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِكَ» (فل١: ١).

لأنه من الممكن أن يصبح المرء سخيًا ونبيلًا وإن تزوج بعد. **بريسكلا وأكيلا** كانا زوجين، وصارا مُكَرَّمَيْن جدًّا، على الرغم من أنَّ مهنتهما لم تكن ذات كرامة، إذ كانا صانعي خيام، إلَّا أنَّ الفضيلة غطت على كل هذا، وجعلتهما أكثر إشراقًا من الشمس. ولم يمثِّل عملهما في الورشة أو آرتباطهما بالزواج أي عائق أمامهما. بل أظهرا للمسيح تلك المحبة التي طلبها، لأنه: «لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ.» (يو١٥: ١٣). هذه المحبة الذي تُعَدُّ سِمَةٌ يتميز بها تلميذ المسيح قد حقَّقَهَا **بريسكلا وأكيلا**، لأنهما **حملا الصليب وتبعا المسيح**، لأنَّ هذان اللذان صنعا محبة من أجل **بولس** يُظهرا بالأكثر جدًّا **محبتهما الثابتة لأجل المسيح**.

فليسمع **الأغنياء والفقراء** هذه الأمور، لأنه إن كان الذين عاشا على أعمال أياديهما، وكانا يُديران ورشة صغيرة لصنع الخيام، قد أظهرا كَرَمًا إلى هذا الحدِّ الكبير، حتى إنهما صارا نافعين لكنائس كثيرة، فأي عُذرًا يمكن أن يقدمه أولئك الذين على الرغم من أنهم **أغنياء** إلَّا أنهم **يحتقرون الفقراء**؟ بريسكلا وأكيلا لم يبخَلَا حتى بسفك دمهما من أجل تتميم إرادة الله، **بينما أنتَ تبخل حتى بتقديم القليل من المال، ومرات كثيرة تبخل بنفسك في الخدمة.**

هل كانا بريسكلا وأكيلا يُظهرا مثل هذا السلوك تجاه المُعلم (بولس)

فقط دون بقية تلاميذ الرَّب؟ بالطبع لا، لأن كنائس الأمم – كما يقول بولس – تشكرهما. وبرغم أنهما كانا من اليهود إلَّا أن قوَّة صدق إيمانهما دفعتهما لخدمة كنائس الأمم برغبة كاملة.

هكذا يجب أن تكون عليه النساء، لا بتزيين أنفسهن «لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ» (١تي٢: ٩)، بل **بالأعمال الصالحة التي لبريسكلا**. لأنَّه أي مَلِكَة صارت بارزة وأحتفل بها بهذا القدر مثل زوجة الخَيَّام هذه؟ بل وصارت موضع حديث الجميع ليس لعشرة سنوات أو عشرون سنة بل حتى **مجيء المسيح الثاني**، والجميع سوف ينادي بشهرتها لأجل ما صنعته، تلك الأعمال التي تُزينها أكثر من زينة التاج الملوكي.

هل هناك أعظم من أنها كانت مساعدة لبولس؟ وأنها أنقذت معلم المسكونة، مما عَرَّضَ حياتها للأخطار؟ لقد كان هناك **ملكات كثيرات** ولم يذكرهن أحد قَطّ، بينما زوجة الخَيَّام كانت في كل مكان تُذْكَر مع صانع الخيام (بولس)، وبقدر ما ترى الأرض الشمس بقدر ما كان مجد بريسكلا يسطع في كل المسكونة. **إنَّ الفُرس والسكيثيون وأهل ثراكي وجميع الساكنين في أقاصي الأرض** يمتدحون ويغنون للروح المسيحية التي لهذه المرأة بريسكلا ويباركونها. ألَا يجعلك هذا تُلقي بعيدًا عنك بفرح **الثراء والتيجان والثياب الأرجوانية عند سماعك هذه الشهادة؟**

وبالطبع لن يستطيع أحد أن يقول أنهما في الأخطار كانا شُجعانًا، وفي الأموال كُرماء، بينما أهملا البشارة، خاصة وأنَّ الرسول بولس يدعوهما «عَامِلِينَ مَعَهُ»، ولا يستحي بولس «الأناء المختار» بأنْ يدعو إمرأة معاونة له بل يحسب ذلك شرفًا له، لأنه لا يلتفت إلى جنسها كإمرأة بل هو يُقدِّر رغبتها في الخدمة والكرازة. فما الذي يعادل هذه الجوهرة؟ **أينَ الثراء الآن الذي يُنفق في كل موضع؟ أين هي زينة الوجه؟ أين هو المجد الباطل؟**

تعلّم أنَّ **الزِّينة الحقيقية للمرأة ليست هي زينة الجسد**، بل هي تلك التي تُزَيِّن النَّفس والتي لا تُفْقَد مُطلقًا، ولا تُخزَن في صندوق، بل تُحفظ في السَّموات. أنظر إلى تَعَبِهَا لأجل الكرازة، إلى الإكليل في الشهادة، إلى السَّخاء في تقديم الأموال، إلى محبتها لبولس، وإلى إفتتانها بالمسيح. قارن هذه الأمور بحالتك أنت، **قَلقك بشأن المال، تنافسِك مع الساقطات في الملبس، مضاهاتك للعشب الزائل**، وحينئذ سترى من هُما بريسكلا وأكيلا **ومن تكون أنت**. أو بالأحرى لا تَعقد مقارنة فقط، بل تَنَافس مع تلك المرأة بريسكلا، وبعد أن تنزع عنك **هموم العشب – أي الثياب الثمينة** – لتأخذ الثَّوب من السماء، ولتتعلم كيف صارت بريسكلا بهذه الصفات الحميدة.

كيف إذًا صارا **بريسكلا وأكيلا** بهذا الحال؟ لقد آستضافا بولس كضيف لمدة سنتين. تأمَّل ما هو تأثير إقامة بولس عندهما طوال هذه المدة. قد تقول لي، ماذا أفعل أنا إذًا فَلَيْسَ عندي بولس؟ إن كنت تريد فسيكون بولس عندك أنت أيضًا وبصورة أكثر وضوحًا من بريسكلا وأكيلا، لأنه حتى بالنسبة لهما رؤية بولس ليست هي التي جعلتهما بهذه الشخصية بل كلامه. فإن أردتَ فسيكون لديك **بولس وبطرس ويوحنا وكل جوقة الأنبياء، مع الرسل**، وسيتحدثون معك بصفة دائمة. لتأخذ كتب هؤلاء الطوباويين ولتقتني حديثًا متواصلًا مع كتاباتهم، وهكذا سوف يجعلونك مثل زوجة الخَيَّام بريسكلا.

ولماذا أتكلم عن بولس؟ لأنه إن أردتَ فسيكون لديك **ربّ بولس نفسه**، لأنه سيتحدث معك من خلال **لسان بولس**. وبطريقة أخرى أيضًا يمكنك أن تستقبل **الرَّب**، عندما تستقبل القديسين وتخدم كل من يؤمن **بالرَّب** ... إذًا فلنتقبَّل القديسين لكي **يُضيء المنزل ويتخلّص من الأشواك**، لكي تصير الغرفة ملاذًا، لنستقبلهم ولنغسل أرجلهم ... ولا تنظر بآزدراء إلى القديسين الذين ينزلون في بيتك لأنهم فقراء في مظهرهم الخارجي كالمتسوّلين، وكثيرًا ما يرتدون ثيابًا رثة، بل لتتذكر ذلك الصوت القائل: «بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا.» (مت ٢٥: ٤٥)، وأيضًا: «أُنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (مت ١٨: ١٠-٢٠).

هكذا بالتفكر في هذه الأمور، وتأمُّل نُبْل وشهامة النُّسوة القديسات، **لتحتقر النساء الحماقة الحاضرة، زينة الملابس، المصوغات الذهبية الفخمة، وضع العطور. وبترك التصرفات الطائشة والخلاعة، والمشية المختالة**، حَوِّلي كل هذه الاهتمامات إلى روحك، واشعلي في ذهنك الرغبة **في ملكوت السموات**. لأنه إن تملَّكَتْكِ **محبة الرّب** سوف **تميزين الوحل والطين، وتسخرين من الأمور التي أنت مُعجبة بها جدًا الآن**. لأنه من غير الممكن للمرأة المُزينة **بإمكانات روحيَّة** أن تطلب **هذه الأمور السخيفة**. وبعد أن تنزَعِي عنْكِ كل هذه الأمور – **التي يطمح ورائها الساقطات والممثلات والمغنيات بحماس شديد – ارتدي محبة الحكمة، وآستضافة الغُرباء، ومساعدة القديسين، وتأنيب الضمير والصلوات الدائمة**. هذه الأمور هي أفضل **من الثياب المطرزة بالذهب، وأهم من الأحجار الكريمة والقلادات**. هذه الأمور تجعل الناس يكرمونَكِ، وتمنحك مكافأة عظيمة **من الله**. هذه الزينة هي **زينة الكنيسة**، أما الزينة الخارجية فهي **زينة المسارح، الزينة الداخلية تؤهل لملكوت السموات**، أما الأخرى **فتخص الخيول والبغال**، الزينة الخارجية **توضع حتى للجثث الميتة** أما الزينة الداخلية **فتشرق داخل النفس الصالحة التي يسكن فيها المسيح**.

أعمال الرحمة

للقديس سمعان اللاهوتي الحديث

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

أيُّها الإخوة والآباء

لا ينبغي بي أنْ أُغامر أبدًا بالتَوجُّهِ كمعلم إليكم أو أنْ آخذ مكان معلم في حضرة محبتكم. لكن كما تَعرفون جيدًا، **فالأرغُن** الذي يصنعه الحِرَفيّ لا يعزف لوحده. بينما عندما تمتلئ أنابيبه بالهواء وتلامسه أصابع العازف بالترتيب المناسب، فيصدر صوته ويملأ الآذان بموسيقاه العذبة. وهكذا الآن معي، تذكّروا أي آلة حقيرة أنا، ولا تتعاطوا بفظاظة مع ما سوف أقول. بالمقابل انظروا إلى نعمة الرُّوح التي من فوق والتي تملأ نفوس المؤمنين «بأصبع الله» (لوقا ١١:٢٠) الذي يَنْقُر على أوتار الفكر ويحثنا على الكلام. أصغوا بخوف ورعدة (أفسس ٦:٥) إلى صوت بوق السيِّد، وبكلام أصح، إلى **مَلك الكلّ** عندما يكلّمنا بأدوات. اسمعوا بفهم وهدوء عظيم.

على كُلٍّ منّا أن يكون مُتنبِّهًا ومُنْتَبِهًا لنفسه، **سواء كُنّا مؤمنين أو غير مؤمنين، عظماء أو حقيرين.** إذا **كنّا غير مؤمنين**، علينا أنْ نؤمن لكي نصل إلى **معرفة الله** الذي صنعنا وإلى الإيمان به. وإذا **كُنّا نؤمن** فلكي نحيا بحقٍّ ونُرضِيهِ **في كلِ عملٍ صالحٍ**. فالرُّهبان المبتدئون يجب أن يكونوا مستمعين **للمتقدمين** من أجل الرَّب، والمتقدمون يجب أن يعاملوا المبتدئين **كأبناء حقيقيين**. أعطى الرَّب وصيَّة: «بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ.» (متى ٢٥:٤٠). **الرَّب** لم يَقُل هذا فقط عنْ السَّالكين في الفَقر والعَوَز بالنسبة للطعام الجسدي، بل أيضًا عن كل إخوتنا الآخرين **الضَّالّين** بعيدًا، لا من مجاعة الخبز والماء بل **من مجاعة نسيان وصايا الله والفشل في إطاعتها.** بقدر ما هي **الرُّوح أهم من الجسد**، هكذا الطعام الروحي أهم من الجسدي. أظن أنَّ الرَّب، في قوله «كُنْتُ جَائِعًا فَأَطْعَمْتُمُونِي...» (متى ٢٥:٤٢)، **قَصَدَ الطعام الرُّوحي أكثر من الطعام الجسدي الذي يَفنى**، لأنه هو نفسه عَانَى العطش والجوع لخلاصِ كُلٍّ مِنَّا. إنّ خلاصنا يكون بالتخلِّي عن كُل **خطيئة** ويستحيل بدون ممارسة الفضيلة وتنفيذ الوصايا جميعًا. نحن نُطعم **ربّ الكل، سيّدنا وإلهنا**، عندما نُنَفِّذ وصاياه. يُعلّمنا **آباؤنا القديسون** أنَّ **الشياطين يتغذون بأعمالنا الشريرة ثم يثورون ضدنا.** وهكذا عندما نتخلى عن **الشرّ** يضعفون من الجوع وينهزمون. لذا أفتكر أنَّ ذاك الذي أصبح فقيرًا من أجل خلاصنا، يتغذّى بنا ويعاني من الجوع **عندما نتخلّى عنه.** هذا ما تُعلمنا إيّاه **سِيَر القديسين** الذين يفوقون رمل البحر عددًا. لهذا سوف أترك الكثيرين وأعلّم محبتكم من خلال **امرأة واحدة.**

أعلم أنكم سمعتم **سيرة مريم المصرية** عند تلاوتها، ليس كما رواها شخص آخر بل كما روتها هي نفسها. إنّ تلك المرأة المساوية للملائكة أظهرت فقرها بشكل اعتراف عندما قالت: «**حتى عندما كان الرجال يعطوني ثمن الخطيئة، كما يحصل عادة، لم أكن آخذه. ليس لأني كنت مكتفية من حاجات الحياة، فأنا كنت أحيا من نسج القنّب، إنما ليكون لي عشاق كُثر مستعدين لقضاء شهوتي**». عندما أرادت أن تأخذ السفينة لتذهب من الإسكندرية إلى فلسطين، كانت فقيرة لدرجة أنها لم تملك لا ثمن البطاقة ولا تكاليف الرحلة. لكنها بعد أن نذرت نذرها **لوالدة الإله الفائقة الطهارة** وقصدت الصحراء، اشترت رغيفين بقرشين أعطاها إياهما أحدهم وجازت الأردن ومكثت هناك إلى حين موتها. لم تَرَ وجه أحد غير **زوسيما**. وبالتالي هي **لم تُطعم أحدًا من الجياع، ولا سقت عطشانًا، ولا ألبست عريانًا، ولا زارت سجينًا أو استقبلت غرباء.** على العكس، **هي قادت كثيرين إلى جهنم واستقبلتهم زوارًا في مساكن الخطيئة.** إذًا، كيف سوف تَخلُص هذه **المرأة** وتدخل الملكوت مع الرُّحماء؟ إنّها لم تنبذ الثروة ولم تُعطي مالها للفقراء، كما لم تمارس أيّ عمل رحمة **بل بالمقابل أصبحت سَبَبًا لضياع الآخرين.** انظروا

كيف نصل إلى نهاية منافية للعقل. **نحن نطرح كثيرين من القديسين خارج الملكوت** إذا اعتبرنا أن أعمال الرحمة تكون فقط بإعطاء المال والطعام الجسدي، وأنَّ الرَّب يغتذي فقط بهذه وأنه لا يُخَلِّص إلَّا الذين أطعموه وسقوه وقدّموا له العبادة وأنَّ الذين لم يفعلوا هذا يهلكون. **إنَّ هذا مُستحيلٌ.**

كلّ الأشياء والممتلكات التي في العالم مشتركة للجميع: النور والهواء الذي نتنفسه، كما مرعى الحيوانات في السهول وعلى الجبال. كلّ هذه الأشياء صُنعَت ليستعملها الجميع ويتمتّعوا بها. ومن حيث المُلكية هي ليست لأحد. **لكن الشهوة تسلّلت، مثل طاغية،** إلى الحياة وَبِطُرق شَتَّى قَسَّم عبيدها وتابِعُوها ما أعطاه **السيِّد** ليكون مُشتركًا. **حبستهم بالخديعة وأغلقت عليهم بالأبراج والأقفال والأبواب.** حَرَمَتْ كل البشر الباقين من التمتع **بعطايا السيِّد الحسنة** مُتبجِّحة بأنها تملكهم ومدّعية أنها لم تخدع أحدًا. لكن **أتباع هذه الطاغية وعبيدها أصبحوا بدورهم عبيد الشيطان وحفظة للمتلكات والأموال الموكلة إليهم.** حتى لو تأثروا بالخوف من العقوبات المخبأة لهم أو بالأمل باستعادة هذه الأملاك مئة ضعف، أو بالعطف على بؤس البشر، وأخذوا بعضًا أو حتى كل هذه الأشياء ليعطوها لهؤلاء الذين في الفقر والأسى، **هل سوف يُحسبون رُحماء؟ لا بأيّ شكل.** أنا أخبركم **أن عليهم دَيْنًا من الندامة، إلى يوم موتهم،** عن كل ما احتفظوا به وحرموا اخوتهم من استعماله.

من جهتنا، نحن أصبحنا شكلًا **فقراء مثل ربنا يسوع المسيح الذي اصبح فقيرًا** من أجلنا بالرغم من غناه. كيف سوف نُحسب **رحومين معه** فيما نحن نُظهر رحمة نحو أنفسنا **وهو الذي صار مثلنا من أجلنا؟** فكّروا جيدًا بما أقول. **من أجلكم أصبح الله إنسانًا فقيرًا.** أنتم الذين تؤمنون به مدينون له بأن تكونوا فقراء مثله. هو فقير بحسب **الطبيعة البشريَّة** وانتم فقراء بحسب الطبيعة الإلهية. إذًا فكّروا كيف تُطعموه. انتبهوا جيدًا أنه أصبح **فقيرًا** لتصبحوا **أغنياء** ولينقل إليكم غِنَى رحمته. **اتَّخذ جسدًا** لكي تصبحوا شُركاء في ألوهيته. لهذا، كما قال، يكون هو ضَيفكم عندما تستعدون لاسْتِضَافَتِهِ. إنّه **يحسب جوعكم وعطشكم من أجله طعامًا وشرابًا له. كيف؟** لأنكم بهذه الأعمال وأمثالها تُطَهِّرون أنفسكم وَتُخَلِّصون ذواتكم **من مجاعة الشهوات وقذارتها. الله** الذي يستقبلكم ويجعل كلّ ما لكم لنفسه، يشتهي أن يجعلكم **آلهة** تمامًا كما صار هو **إنسانًا.** إنّه يحسب كلّ ما تفعلونه لأنفسكم وكأنه هو يتحمّله قائلًا: «بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ.» (متى ٢٥: ٤٠).

بأيّة أعمال أخرى أَرْضَى الله أولئك الذين عاشوا في المغاور والجبال وخلُصوا بالمحبة والندامة والإيمان؟ لقد **تركوا العالم كله** وتبعوه وحده. لقد استقبلوه وأكرموه كضيف **بالندامة والدموع،** لقد أطعموه وأعطوه شرابًا عندما كان عطشانًا. وهكذا بالفعل، كُل المدعوين أبناء الله، بحسب المعمودية المقدسة، هم فقراء وحقيرون بحسب العالم. إنَّ الذين يدركون في أنفسهم أنّهم أبناء الله، لا يستطيعون من بعدها احتمال أن يزيّنوا أنفسهم **لعالم عابر،** لأنهم **البَسُوا أنفسهم المسيح.** مَنْ مِنَ النَّاسِ اللابسي الإرجوان المَلَكِي يَرضى أن يضع عليه ثوبًا قَذِرًا مُمزقًا؟ أولئك الذين لا يعرفون هذا وهم عُراة، بدون ثياب مَلَكِيَّة، إنَّما يسعون إلى أن يحملوا **المسيح بواسطة التوبة والأعمال الحسنة الأخرى التي ذكرناها، فيلبسون المسيح نفسه.** إنّهم أنفسهم مُسحاء كما هم أبناء الله بقوة المعمودية المقدَّسة. **ولكن ماذا ينتفعون لو أَلْبَسُوا كل العُراة في العالم وفشلوا في إلباس أنفسهم وبقوا عُراة؟**

مرَّة أخرى، نحن الذين اعتمدنا على اسم الآب والابن والرُّوح القُدُس، نحمل إسم أخوة المسيح. لا بل نحن أكثر من ذلك لأننَّا أعضاؤه. أنت تستضيف كل الآخرين وتكرمهم وتعتني بهم لأنك أخو المسيح وعضوه. ولكن ألَا تكون قد عاملت أخوّة المسيح **باحتقار** إن أنت، بدل أن تُجاهد بكل الوسائل للوصول إلى **قمة تلك الحياة والشَّرَف اللذين يُرضيان الله، أهملت نفسك وتركتها مطروحة في القذارة والفساد والكآبة العميقة، من خلالِ الشَّرَهِ ومحبةِ اللذةِ، وكأنك ميت؟** ألَا تكون قد تركتَه **للجوع والعطش؟** ألَا تكون تركته **من دون زيارة وهو في السجن؟** وبالتأكيد سوف تسمعه يقول «**لم يكن لك رحمة على نفسك ولهذا لن ترى الرحمة**».

ولكن إن قال أحدٌ: «**بما أن الوضع هو على هذه الحال وليس لنا مردود للأموال والممتلكات التي نعطيها فما الحاجة إلى إعطاء الفقير؟**»، فاتركوه يسمع من الذي سوف يحاكمه ويجازي كل إنسان بحسب أعماله «**أيها الأحمق ماذا جلبت معك الى العالم؟**» «لأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ.» (١ تيمو٦: ٧)، هل صنعت شيئًا منظورًا؟ ألم تأتِ عُريانًا مِنْ رَحِمِ أُمِّكَ؟ أَلَنْ تمضي من الحياة عُريانًا؟ أَلَنْ تقف أمام كرسي حُكمي؟ أيُّ مالٍ لكَ هناك تطلب عنه تعويضًا؟ بِأَيٍّ من مُمتلكاتك تقول أنك أعطيت صَدقة لإخوتك ومن خلالهم لي؟ أعطيتك كل هذه الأشياء، ليس لك وحدك ولكن لكل الناس مشاركة. أو هل تفتكر أني اشتهيت شيئًا او أنِّي أُرْتَشَى **مثل الطمَّاعين من قضاة الناس؟** من المستحيل أنْ

تكون قد افتكرت هكذا في حماقتك. ليس لأني اشتهيت أي ثروة إنما لأني أشفق عليك. وليس لأني أريد أن آخذ ما لك بل لأني أريد أن أحرِّرك من الدينونة العالقة به **(بما هو لك)** وليس لسبب آخر».

لا تفتكر أبدًا يا أخي أنَّ الله يوصيك بإظهار الرحمة نحو الفقراء ويعطي هذه الوصية قيمة كبيرة، لأنّه في عوز وغير قادر على إطعامهم. لقد أخذ **المسيح** ما صنعه **الشيطان** من خلال الطمع **لهلاكنا**، وَحَوَّلَهُ **بإعطاء الصدقات لصالحنا** وَأَضَافَهُ إلى خلاصنا. ماذا أعني؟ أوعز لنا **الشيطان بأنْ نستولي على الأشياء التي أُعطيناها لاستعمالنا المشترك لكي نختزنها لأنفسنا حتى يجعلنا هذا الطمع عرضةً لاتهام مزدوج وبالتالي لعقاب أبدي ودينونة.** الاتهام الأول هو **بأنَّنا كنا عاقين**، والثاني **بأنَّنا وضعنا رجاءنا في الممتلكات المخزونة بدل الله.** لأن الذي يملك ثروات مُخبأة لا يستطيع أن يضع رجاءه **على الله**، وهذا واضح من قول المسيح ربنا: «لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضًا.» (لوقا١٢: ٣٤). **إنَّ الذي يوزّع على الجميع من الثروة التي خبأها ليس له أي مكافأة على هذا العمل، إنما يُلام لأنه حرم الآخرين منها حتى الآن بغير حَقّ. إضافة إلى هذا، هو مسؤول عن الذين خسروا حياتهم بسبب الجوع والعطش، وعن الذين لم يُطعمهم حين كان قادرًا على ذلك، وعن الفقير الذي خبّأ حصته وتركه يموت ميتة فظيعة من البرد والجوع. إنه مُتهم وكأنه قتل ضحايا كثيرة، بعدد الذين كان قادرًا على إطعامهم.**

عندما يُحرّرنا السيّد الكريم المُنْعِم **من كل هذه الاتهامات**، لا يعود يحصينا بين الذين يحتجزون ممتلكات الآخرين. إنه يحسبها أملاكًا لنا يَعِدُ أن يعطينا **مئة ضعف**، وليس فقط عشرة أضعاف، إنْ نحن وزّعناها على إخوتنا بابتهاج. لا يَكْمُن هذا الابتهاج في النظر إلى هذه الأشياء على أنها لنا بل على أنَّها **أمانة لدينا من الله** من أجل خير الخدّام إخوتنا. إنه يَكْمُن **في توزيعها بِكَرَمٍ وَفَرَحٍ وَشَهَامَةٍ وليس بحزن أو إكراه.** بعدها علينا أن نفرغ أنفسنا بفرح من كل ما فيها على رجاء تحقيق الوعد الذي قطعه الله بمكافأتنا بمئة ضعف. **فالرَّب** استعمل الدواء المناسب كونه يعرف أنَّنا **مُتملّكون بشهوة الممتلكات والثروة** ويعرف كم هو صعب علينا أن نتخلَّى عنها، وكيف يُصاب باليأس من الحياة كُل مَن لا يمتلكها. لقد وعَدَنا، كما ذكرنا، بأن يردّ لنا ما نعطيه للفقير **مئة ضعف**. وقد فعل هذا **أولًا ليحرِّرنا من دينونة الطمع** وثانيًا **لنتوقف عن وضع رجائنا وثقتنا في الممتلكات، ونحرِّر قلوبنا من هذه القيود.** عندما نتحرَّر، نستطيع أن نتقدَّم بدون عراقيل إلى تطبيق وصاياه وخدمته بخوف ورعدة، ليس كما لو أننا نُحسن إليه **بل كأن قبولنا في خدمته هو كسبٌ لنا.** بغير ذلك يكون مُستحيلًا علينا أن نَخْلُص. لقد أُوصي الأغنياء بأن يَضَعُوا ثروتهم جانبًا لأنها **حِمْلٌ وعائق** أمام الحياة التي تُرضي الله، وأنْ يحملوا الصليب على أكتافهم ويتبعوا خُطى السيِّد لأنه يستحيل علينا أن نحمل الحِمْلَيْنِ معًا. كذلك ليس هناك ما يعوق الذين ليست هذه حالهم العائشين في ظروف أكثر اعتدالًا أو حتى ينقصهم الكثير من حاجات الحياة، إنْ هُمْ أرادوا أن يسلكوا **الدرب الضيّق والصَّعب.** المذكورون أولًا لا يحتاجون إلَا العزم ليفعلوا هذا، أمَّا الآخرون فهم يسيرون على هذا الطريق وعليهم **أن يعيشوا بصبر وشكر**، والرَّب بِعَدْلِهِ يُهَيِّء مكان راحة للذين هُم على طريق الحياة الأبدية والسعادة.

ولكن التَّخلِّي عن الممتلكات والثروة بدون المحاربة **بشجاعة ضدّ هجمات الشهوات وكل أنواع المِحَنِ**، يبدو لي ملائمًا لنفس غير مكترثة ولا تعرف النهاية التي يخدمها هذا العمل. كما أن الذَّهب الفاسد في عمق الأرض لا يتنقى حسنًا ويعود إلى معانه الأصلي بدون تمحيصه بالنار وضربه بالمطارق، كذلك النفس **الملوثة بغبار الخطيئة** لا تستطيع أن تتنقى وتعود إلى **بهائها الأصلي إلَّا إذا التقت بتجارب كثيرة ودخلت في أتونِ المِحَنِ.** تُشير كلمة الرَّب إلى هذا بقوله:«بِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي» (متى ١٩: ٢١و٢٤: ١٦). يشير هنا **بالصليب** الى **الشهوات والتجارب.** الذين يتخلَّون عن الثروات والممتلكات ويلجأون الى **الحياة الرهبانية لن يكسبوا شيئًا بهذا التَخلِّي إلَّا إذا ثابروا إلى النهاية بالتجارب والآلام والحزن** الذي يرضي الله. لم يَقُل المسيح بتركِكم ممتلكاتكم تكسبون نفوسكم، بل بصبركم (لوقا٢١: ١٩). واضحٌ أنَّ توزيع المقتنيات على الفقراء وهجر العالم هما أمران ممتازان ونافعان ولكنهما لوحدهما، **وبدون تحمّل التجارب**، لا يستطيعان أن يصنعا رَجُلاً ممتازًا ومُرْضِيًا لله. إنَّ الحقيقة هي على هذا الشكل، وهي التي تُرضي الله، واسمعوه يقول للرَّجلِ الغَنِيِّ: « «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي». وكما ذكرنا سابقًا **فالصليب يشير إلى التجارب والمِحَنِ.**

لأنَّ **ملكوت السماوات يُغتصب اغتصابًا** ومن المستحيل على المؤمن أن يدخله بطريقة أخرى **غير المرور بباب التجارب الضَيِّق**، فقد أوصتنا الحكمة الإلهية بأنْ «اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ» (لوقا ١٣: ٢٤)، «وَأَنَّهُ بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ.» (أعمال ١٤: ٢٢). إذًا ذاك الذي «يفرق بِرّه» (مز١١١: ٩) على المحتاجين ويتخلّى عن العالم وأعماله على أمل المكافأة، يُحمِّل ضميره **باللذة العظيمة** التي يحملها في داخله وقد يفقد مع الوقت المكافأة **بسبب المجد الباطل.** أمَّا الذي يعطي كل شيء للفقراء ويتحمّل الصعوبات بشكر ويحفظ نفسه في الصعوبات ويحس بكل مرارة المعذبين وألمهم، فهو يُبْقِي فكره غير منثلم في الوقت الحاضر. أمَّا في الحياة المقبلة فله **ثواب عظيم** لأنَّه تَشَبَّهَ **بآلام المسيح** وانتظره بصبر **في الأيام التي فيها أغارت عليه الشهوات.**

إذًا يا إخوتي في المسيح، أنا أتوسَّل إليكم أن نَسْعَى لنتصرف بحسب كلمة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. فنحن قد تركنا «الْعَالَمَ وَالأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ.» (١يوحنا ٢: ١٥) لكيما ندخل **في الباب الضيّق، الذي يستدعي قطع فكرنا وإرادتنا الشهوانيين والهرب منهما.** لأنَّنا إنْ لم **نَمُت بالجسد وشهواته ورغباته** فلن يكون مُستطاعًا لدينا **أن نحصل على الراحة والتحرُّر من أمراضنا**، ولا الحريَّة التي تأتي إلينا من تعزية الرُّوح القُدُس. بدون هذا – أعني مجيء الرُّوح القُدُس – فإنَّ أحدًا لَنْ يَرَى الرَّبّ، لا في هذا العالم ولا في الآتي. لأنكم فعلتم حسنًا بأنكم وزعتم كل ثروتكم على المحتاجين، طالما أنكم لم تتركوا شيئًا

لكم على مثال **حنانيا** (أعمال ٥:١)، وإضافة فقد تخلّيتُم عن العالم وما فيه، وهجرتم الحياة العالمية واهتماماتها ووصلتم الى نعيم الحياة وغلّفتم أنفسكم بصورة التقوى (٢تيموثاوس٣:٥)، فأنا اوافقكم وأمدح مجهودكم. ولكن الآن يجب أن تُعرُّوا أنفسكم من «اهْتِمَامَ الْجَسَدِ» (روما ٦:٨)، تمامًا كما نبذتم ثيابكم العالمية الفاخرة. وكما أنكم وضعتم عليكم رداءكم (الرهباني) هذا من أجل المسيح، هكذا عليكم أن **تكتسبوا عادات النفس والفكر الروحي نفسه**. يجب أن تكتسبوا من خلال **التوبة** ذلك الثوب المُشعّ الذي هو الرُّوح القُدُس عينه. هذا يتحقّق فقط من خلال الممارسة المستمرة للفضائل وَتَحمُّل الأحزان. **تتحرك النفس المنكسرة نحو الدموع بالتجارب**. وعندما **تُنَقّي الدموعُ القلبَ** تُحَوّلهُ إلى هيكلٍ للرُّوح القُدُس ومكان راحة له. **لا ارتداء الثوب الرهباني ولا ترتيب المنظر الخارجي يكفيان لخلاصنا وكمالنا. نحن بحاجة إلى أن نُزيّن إنساننا الداخلي كما الإنسان الخارجي بوساطة الرُّوح القُدُس فَنُقَدِّم أنفسنا إلى الله بالنفس والجسد.** نحن نُدرّب الجسد على أعمال الفضيلة بالرِّياضة الجسدية (١تيمو٤:٨) حتى يكون قويًا وَمُدَرَّبًا على الأمور المؤلمة التي **تُرضي الله ولكي يحمل بِنُبْلٍ مرارة الصوم، وقوة التقشف وضرورة السهرانيات وكل عذابات الصعوبات**. بالتقوى نُدرّب النفس لترتأي كما يجب أن ترتأي (رومية ٣:١٢) ولتتأمل دائمًا بالأمور المتعلّقة بالحياة الأبدية، وتكون متواضعة ووديعة ومنسحقة القلب، مملؤة بالندامة، باكية كل يوم تستحضر نور الرُّوح عليها بالصلاة. هذه النِّعَم تأتي إليها من خلال **التوبة المُتَّقِدَة** عندما **تَتَنَقَّى** النفس **بالدموع الكثيرة**. وبدون هذه لا تستطيع أن تُنَقّي حتى ثوبها وتترك نفسها ترتفع الى المعاينة. كما أنَّ الثوب **المنتقع في الوحل والروث وسخٌ كُلّيًا** حتى إنه لا يَنْظَف إلّا بغسله بماءٍ كثيرٍ ودوسه بالأقدام، كذلك عندما يصبح ثوب النفس مُلوثًا **بوحل الشهوات الخاطئة ووسخها**، لا يعود مُستطاعًا غسله لِيُصْبح نظيفًا **إلّا بدموع غزيرةٍ واحتمالٍ للتجاربِ والمحنِ**. فهناك سائلان يفرزهما الجسد بالطبيعة: الدموع التي تنسكب من فوق، والآخر الذي ينسكب من أعضاء التناسل. فالأخير **يُلوث النفس** عندما يُفَرَّغ بعكس الطبيعة والناموس، بينما الأول يطهّرها عندما ينسكب **من التوبة**. الذين أصبحوا **مُلَوّثي النفس من الممارسة الأثيمة للخطيئة وحركة القلب الشهوانية التي تطبع فيهم أشكال الشهوات غير العاقلة**، يجب أنْ يَتَنَقُّوا بدموعٍ غزيرةٍ وَيَصِلُوا إلى نقاوةِ ثوب النفس وإلّا **فتستحيل عليهم** رؤية اللهِ النور الذي ينير كل إنسان آتٍ إليه بالتوبة، لأن النقيّ القلب هو الذي يعاين الله (متى ٥:٨).

لهذا أتوسل إليكم **أيها الآباء والإخوة والأبناء**، دعونا نسعى لنكسب نقاوة القلب التي تأتي من الانتباه لِطُرُقِنَا ومن الاعتراف الدائم بأفكار النفس المخفيَّة. لأنَّنا إن اعترفنا يوميًا بهذه الأفكار، مُحَرِّكين بقلبٍ تائب، تُخْلَقُ فينا **الندامة** على ما فعلنا أو افتكرنا. **الندامة ترفع الدموع من عمق النفس؛ الدموع تنقي القلب وتمسح الخطايا العظيمة**. عندما تُمسح هذه الخطايا بالدموع، تجد النفس نفسها في عزاء روح الرَّب فتسقيها ينابيع الندامة الأكثر عذوبة. بهذه تثمر الرُّوح روحيًا يومًا بعد يوم حتى تظهر ثمار الروح (غلاطية ٢٢:٥) وفي الوقت المناسب تُعطي مثل حصاد وفير من الحُبِّ ومصدر طعام لا يفرغ لحياة النفس الأبدية التي لا تَفنى. عندما تَصِل النفس إلى هذه الحالة فإنها تتشابه بالله وتصبح منزلًا وَمَقَرًّا للثالوث القُدُّوس، فهي ترى خالقها وربها بوضوح. وعندما تحاوره يومًا بعد يوم، تبتعد عن الجسد وعن العالم وعن هذا الجوّ وتصعد إلى سماء السماوات. فهي إذْ تُحْمَل عاليًا بالفضائل وبأجنحة محبة الله، ترتاح من أعمالها مع الصديقين وتُوجد في النور الإلهي غير المتناهي، حيث مصاف **رُسل المسيح والشهداء والمباركين وكل القوات العلوية ينشدون معًا في آن واحد.**

إخوتي في المسيح ، لنسعى لأنْ نصل الى هذه الحالة. لا نُقَصِرَنَّ عن آبائنا القديسين بل بحماستنا للصلاح وممارستنا لوصايا المسيح «إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.» (أفسس ١٣:٤). لا شيء يمنعنا من هذا إن كُنَّا نتوق إليه. لهذا فلنمجد الرَّب في أنفسنا وهو يُوجِد الفرح فينا. عندما ننطلق من هذه الحياة فسوف نجد الرَّب مثل حضن ابراهيم، يستقبلنا ويدلِّلنا في ملكوت السماوات. نحن نصل إلى كل هذا بنعمة ربنا يسوع المسيح له المجد إلى الأبد. آمين.

كيف عاش الإنسان فى الفردوس؟
للشيخ يوسف الڤاتوبيذي

كان الفردوس مكانًا إلهيًا، مَسكنًا مُناسبًا للإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله. لقد عاش الإنسان هناك في نعيم المواهب الإلهية التي أُدرِجَت في جوهره. لقد تملّكه الشعور بأنّه أرفع من كلّ الكائنات البشرية ومضيفًا لها. لقد كان هادئًا وعاش من دون هَمّ ولا اهتمام ولا تَسَلُّط على حياته. لم تكن أيّ حاجة تضغط عليه. لقد كان عنده مهمة وحيدة هي عمل الملائكة: أن يمجّد الله بشكل ثابت ومستمرّ. انغماسه الوحيد كان في الاشتراك في ملء المحبة الإلهية الكاملة.

بحسب القديس يوحنا الدمشقي: «كان الإنسان يسكن في المكان الأسمى والفريد والأكثر جمالًا، وكان الله مُساكنًا له. لقد كان الله لباسه اللامع، وكان مُحاطًا بنعمته ومستمدًا البهجة في ثمرة معاينته الأكثر عذوبة».

أيوجد أيّ حُلم أسمى من الشعور الذي يتملكك عند إمساكِك بمَن تحبّ وخاصةً إذا كان محبوبك هو الله ؟

بين الحَسَدِ والحُلمِ

القديس غريغوريوس النيسي

«وَتَكَلَّمَتْ مَرْيَمُ وَهَارُونُ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْكُوشِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا، لأَنَّهُ كَانَ قَدِ اتَّخَذَ امْرَأَةً كُوشِيَّةً. فَقَالاَ: «هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يُكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضًا؟» فَسَمِعَ الرَّبُّ. وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ . فَقَالَ الرَّبُّ حَالاً لِمُوسَى وَهَارُونَ وَمَرْيَمَ: «اخْرُجُوا أَنْتُمُ الثَّلاَثَةُ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ». فَخَرَجُوا هُمُ الثَّلاَثَةُ. فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي عَمُودِ سَحَابٍ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ، وَدَعَا هَارُونَ وَمَرْيَمَ فَخَرَجَا كِلاَهُمَا. فَقَالَ: «اسْمَعَا كَلاَمِي. إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ، فَبِالرُّؤْيَا أَسْتَعْلِنُ لَهُ. فِي الْحُلْمِ أُكَلِّمُهُ. وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَيْسَ هكَذَا، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. فَمًا إِلَى فَمٍ وَعَيَانًا أَتَكَلَّمُ مَعَهُ، لاَ بِالأَلْغَازِ. وَشِبْهَ الرَّبِّ يُعَايِنُ. فَلِمَاذَا لاَ تَخْشَيَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا عَلَى عَبْدِي مُوسَى؟ ». (عدد ١٢: ١-٨)

لم تَعُد هناك أي إهانة صادرة من **قلبٍ حسود** يمكنها أنْ تَقِف في وجه ذلك الذي يتبع **الله** بهذه الطريقة (**كموسى**). أثارت بعض الأمور **الحَسَد ضد موسى من أخوته. الحَسَد هو أوّل أسباب الشّر، هو أبو الموت والمدخل الأول للخطية، هو أصل الشّر ومولّد الحزن، الحَسَد هو مولد المصائب، وأساس العصيان، وفاتحة الخزي. الحَسَد هو الذي أخرجنا من الفردوس**، عندما تظاهر **كأفعى** ليقاوم حواء. **الحَسَد هو الذي حَجَبَنَا عن شجرة الحياة، وبعدما نزع عنَّا الثياب المقدسة دفعنا إلى خارج ونحن مكتسين بأوراق التين.**

الحَسَد سَلَّح **قايين** على أخيه بخلاف الطبيعة، **وافتتح الموت** الذي يُنتقم له سبعة أضعاف. **الحَسَد** جعل **يوسف عبدًا. الحَسَد هو اللدغة القاتلة والسلاح المخفي، ومرض الطبيعة، والسّم اللاذع، والضعف الإرادي، والسَّهم المُرّ، ومسمار النفس، ونار في القلب، هو اللهب الذي يضرم الأحشاء.**

الحَسَد يُعَدّ مصيبة لا الشّر الذي يحل به **بل خير الآخرين**، وبالعكس أيضًا، نجاحه لا في الخير الذي يحلّ به بل في شدة ومصائب الآخرين. **الحَسَد** يحزن لسعادة الناس ويستغل مصائبهم لمصلحته. يُقال أن النُّسور التي تفترس الجيف تقضي عليها الأطياب، **فإن طبيعتها تألف النَّتن والفساد.** تلك حالُ من كان فريسة هذا المرض (**الحَسَد**)، إذ يقضي عليه **سعادة أقربائه وجيرانه**، كما لو كان طيبًا من الأطياب، وإذا رأى حادثًا يُفجع أحد الناس، **يهرعُ إليه ويغرس فيه منقاره الأعوج، مُنقبًا في أعماق جرحه.**

الحَسَد حَارَبَ أُناسًا كثيرين قبل موسى. وعندما هاجم هذا الرجل العظيم، تحطّم عليه، كما يتحطم إناء فخاريٌّ يصطدم بصخرة. وقد أظهر ذلك بوجه خاص مدى التقدم الذي أحرزه موسى في رحلته مع الله. لقد ركض موسى في الحضرة الإلهية، وأخذ موضعه على الصخرة، ومكث في النقرة تُظَلِّلُهُ يدُ الله، وتابع دليله من الخلف، غير مواجهٍ له ولكن ناظرًا إلى قفاه.

وصل موسى إلى سموٍّ وارتفاعٍ جعله أعلى من أن تُصيبه **سِهام الحَسَد**، ويظهر ذلك أنه قد أصبح طوباويًا في تبعيته لله. قد حاول **الحَسَد** أن يرميه بسهامه ولكن السَّهم ما كان ليبلغ الأعالي التي بلغها موسى.

فَوَتَرُ الشَّر كان عاجزًا عن قذف سهمه بعيدًا لكي يبلغ موسى، من أولئك الذين أصابهم المرض من قبل. أما **هارون ومريم** فقد أصابهما **تأثيره الشّرير**، فأصبحا **كقوس حَسَدٍ**، يقذفان موسى بالكلام بدلًا من السِّهام.

لم يحجم موسى فقط عن مشاركتهما في ضعفهما، بل أنصرف إلى تقديم العون ومعالجة من أصابهم ذلك المرض. ولم يقتصر الأمر على أنه لم يحاول الدفاع عن نفسه ضِدّ من سَبَّبُوا له الأسى، بل كان يشفع فيهم لدى الله، طالبًا لهم الرحمة. وقد أظهر بما فعله، **أنَّ الشخص المُحصَّن بدرع الفضيلة لا تصيبه نِصال السِّهام.**

قَلَّل موسى من حِدَّة حرابهم، وجعلها تطيش بفضل صلابة درعه. والدِّرع الذي يقي من هذه السِّهام هو الله نفسه، الذي يَلْبَسَهُ **جندي الفضيلة**. لأن الكتاب يقول: «الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ (كدرع)» (رو١٣: ١٤)، أي الدِّرع الكامل الذي لا يُخترَق. كان موسى مُحَمِيًّا بشكلٍ جيد، لذا كانت سِهام الشَّر غير فعَّالة معه.

لم يُسرع موسى بالدفاع عن نفسه ضدّ أولئك الذين سَبَّبوا له الحزن، بالرغم من حُكم القضاء العادل الواقع عليهما، وأنه كان يعرف ما يجب أن يفعله، إلَّا أنه بالرغم من ذلك **قام شفيعًا يشفع في أخوته لدى الله. لولا أنَّ موسى كان يسير في خُطى الله** – الذي أظهر له أنَّ السَّير وراءه هو آمن طريق إلى الفضيلة – **ما كان فعل ذلك.**

عن الرجاء واليأس

من محادثة مع راهب أثوسي معاصر

اشتكى بعض الضيوف العاديين إلى **أحدِ الرُّهبان في إسقيطٍ من الأساقيط الأثوسية**، من أنَّ **الاضطرابات والصعوبات والمشاكل الدنيويَّة تحرمهم من وقتهم وقوتهم**، مما يسبب لهم **اليأس**، ولا يعرفون كيف يُنقذون نفوسهم في مثل هذه الظروف.

بعد أن استمعوا **إلى إجابة الرَّاهب**، طلبوا الإذن بنشر كلماته، لكونها تثير اهتمام دائرة أوسع من المسيحيين وتفيدهم. وافق الرَّاهب طالبًا فقط عدم ذكر اسمه على أنه المؤلف، لأنَّ كما أوضح، كُل ما قاله هو **تعليم الكنيسة والتقاليد الروحية الرُّومية الأرثوذكسية**، وليست أفكاره الشخصية. تلبية لهذا الطلب السهل، نورد كلمات هذا **الرَّاهب الأثوسي النافعة للروح**.

لكي نكون أقوى، فلنتذكر خيبة الأمل الكامنة وغير المتوقعة، والمشاكل التي تُفاجئنا، والعقبات التي لا نستطيع التنبؤ بها، والفرح غير المتوقع الذي يرفعنا إلى السماء وكأننا على أجنحة، والمعاناة التي تغزو روحنا، مثل عاصفة ... **يزيد الألم من انحناء رؤوسنا أكثر وأكثر**، ولكن فقط بمعونته (المسيح) نصير قادرين على معرفة السلام الحقيقي **ونصير أقوياء**.

نحن أُعطينا **أسلحة إلهية لخلاص أرواحنا: الصلاة، وخاصة الصلاة العقلية، الصوم، الاعتراف المستمر، والمناولة الإلهية، وقراءة كلمة الله وكُتب الآباء القديسين النُسْكِيَّة**، للتخلي عن كل ما يمزّق علاقتنا مع الله ويبعد عقولنا وقلوبنا عنه وعن إرادته المقدسة. والشيء الأكثر أهمية هو **ذكر الموت. في الأديرة، وخاصة في الجبل المقدس**، يُعيّن راهب خصيصًا لزيارة قلالي الإخوة في الصباح والمناداة: «**صباح الخير يا أخ، تذكر كلّنا سوف نموت ...** ».

لذلك، لا أعتقد أن هناك أي إنسان لا يعرف قُدراته وضعفاته.

حَدَثَ أنَّ أحد الرُّهبان الشباب عديمي الخبرة **سقط في خطيئة خطيرة بالجسد**. غادرته النعمة واستولى عليه الحزن، فَقَدَ الأمل في الله وقال انه يأس من خلاصه، ومن الحياة بشكلٍ عام ... ترك قانون صلاته حائرًا في ما يعمل، وبالكاد كان يئن: «أيها المسيح، أنرني!» قرَّر أن يذهب **إلى الاعتراف عند شيخه وكشف حزنه**. وصل، اعترف، وحكى عن فقدانه الأمل بالخلاص، **وعنْ أنَّ اليأس خنق قلبه كرذيلة ...**

قال الشيخ: «إنك تجني من الثمار على قدر الاهتمام الذي تقدمه».

ثم أخبر الرَّاهب الساقط هذه القصة: –

كان لفلاحٍ حقلٌ بعيدٌ عن منزله، وبالتَّالي فإنَّ المزارع أهمله تمامًا. صارت الأرض مغمورة بالأعشاب الضَّارة. فدعا ابنه البكر وقال له: «اذهب ونظّف حقلنا البعيد، إذ لم يعد ممكنًا حتى رؤيته». وافق الابن، وفي اليوم التالي سَرَجَ حماره، وجمع أدواته، وتوجّه إلى الحقل. ولكن ماذا وجد؟ يا أم الله! بدلًا من حقل وجد غابة لا يمكن عبورها من الأعشاب الضَّارة النامية. صَفَّقَ الشاب بيديه وقرَّر: «**لا، لن يتم تنظيف هذا الحقل**». استلقى في ظل شجرة وَغَطَّ نائمًا من الحزن. أَسْكَرَهُ اليأس كما المخدرات. بعد أن نام طوال اليوم، وأضاع الوقت عبثًا، عاد إلى المنزل.

«حسنًا؟» استقبله والده، «هل نظّفت الحقل؟».

«**لا، يا أبي**»، أجاب الابن، «**لم أفعل أي شيء**.»

لماذا «لا؟» إنه من المستحيل.

هناك الكثير من الأعشاب الضارة والحشيش... لم أعرف حتى من أين أبدأ.

فماذا فعلت كل اليوم؟

« **نمت**».

آه، أليس مُخزيًا لك كرجل بالغ أن تنام؟! اعتقدت أنك أكثر ذكاء من ذلك... غدًا، سوف تذهب مرة أخرى، وتنظّف حتّى ولو مجرّد قسم صغير، على حجم طولك. وما أنْ تنظفه يمكنك أن تنام.

في اليوم التالي، حتّى قبل بزوغ الشمس، كان الشاب بالفعل يحمل مِعْوَلَهُ. خلال عشر دقائق، كان قد نَظَّفَ جزءًا صغيرًا من الحقل، على حجم طوله. هذا الأمر ألهمه كما يقول المثل القديم: «البداية الجيِّدة هي نصف المعركة». سار العمل بشكلٍ جيد، وكان الشاب يعمل بحماس، عن طيب خاطر. **يأسه واكتئابه مَضَيَا!**

في المساء، عاد إلى البيت راضيًا.

«ماذا جرى؟».سأل الأب ابنه.

«**أنا نظفت ثلاثين قدمًا! سأنتهي خلال بضعة أيام**».

قال الأب: «إذا فقدنا الأمل، فإن اليأس والحزن يأكلاننا من الداخل مثل الديدان . . . لن يسمحا لك برفع إصبع أو هَزِّ ساق».

وبالفعل، تمّ تنظيف الحقل تمامًا من الأعشاب الضارة في غضون أيام قليلة.

«**هل تفهم ما أحاول أن أقول؟**» **سأل الشيخ الراهبَ اليائس.**

«أنا أفهم، أيها الأب»، أجاب.

«**لا بدّ لي من تنقية نفسي. ولكن كيف أبدأ؟** »

«أنت بدأت بالفعل، أيها الأخ. الاعتراف هو البداية الجيدة. لقد غَفَرَ لك الرَّب خطاياك. ولكن هذه عَطِيَّتُهُ، وأنت يجب أن تُقدم شيئًا من نفسك».

إذًا ايها الأب، سأل الرَّاهب الشَّاب: «أنت تقول أنه يمكن أن أصبح مسيحيًا وصالحًا».

«بالطبع، يا أخي. أنا واثق على قدر ثقتي بأننا نرى بعضنا البعض ونتحادث».

«**إذاً، يا أبتي!**» هتف الرَّاهب الشَّاب بحماسٍ. «ماذا ينبغي أن أفعل الآن؟»

قال الشيخ «باشر قانونك الرهباني مُجددًا وَبِبُطءٍ. كَرِّر بلا توقف: يا رب ارحم! واستعدّ للمناولة المقدسة. نعم، أيها الأخ، قريبًا. في الوقت الحالي، مُهمتك الرئيسيَّة هي قتل **شيطان عدم الرجاء واليأس!** »

«أنا لا أعرف كيف أشكرك يا أبي» قال الرَّاهب الشَّاب ثم انحنى إلى الأرض مقبّلًا أقدام الشيخ. «لقد أعطيتني السماء. أرجو أن أعود، وروحي ملأى بالفرح والنور. اليأس قد اختفى، والجنّة في قلبي! »

أنهى الأب الآثوسي قصته مع اقتباس من الكتاب المقدس: « وَأَمَّا مُنْتَظِرُو الرَّبِّ فَيُجَدِّدُونَ قُوَّةً. يَرْفَعُونَ أَجْنِحَةً كَالنُّسُورِ. يَرْكُضُونَ وَلاَ يَتْعَبُونَ. يَمْشُونَ وَلاَ يُعْيُونَ.» (أشعياء ٤٠: ٣١).

الإنسان المُحَاجِج - القديس سمعان اللاهوتي الحديث

الإنسان المأخوذ في الجَدَل يصير سيفًا مُزدوج الحدّ **ضدّ نفسه**، من دون أن يعرف ذلك، **مُغرِبًا نفسه عن الملكوت**. الإنسان المولّع بالجَدَل يُسلّم نفسه عمدًا إلى **ملك أعدائه**. حجته هي خيط صيد متداخل مع شيء من الصِّدق: الدفاع عن الحقيقة وتبرير الذّات والدفاع عنها، وهذا ما يشدّه **إلى ابتلاع صنارة الخطيئة**. من ثمّ تسلبه **أرواح الشَّر** نفسه الفقيرة، بعد أن عقفته من لسانه وحلقه. نفسه المتعلّقة بالجدل ترتفع تارةً إلى فوق وتارةً تغرق إلى **هاوية الخطيئة المشوّشة**، وبهذا يُحكَم عليها **مع الأرواح المطرودة من الملكوت**.

الرَّجل الذي **يحمل جُرحًا عميقًا من التحجُّج الاستفزازي والتعسفي** يؤوي في أعماق نفسه **أفعى الخطيئة القديمة**. **إذا احتمل ضربات جداله بصمت أو أجاب باتضاعٍ كبيرٍ يجعل هذه الأفعى بلا قوّة، أو ربما يقتلها**. لكن إن جادل بمرارة أو استكبار فهو **يزيد من قوة الأفعى لتصبّ سُمًّا أكبر في قلبه أو تبتلع أحشاءه من غير رحمة**. باكتسابها القوّة يوميًا، تنتهي **الأفعى بالتهام نيّة نفس الرجل المسكين وقدرته على تغيير أسلوب حياته**. ومن ثمّ يسلك الرجل **في الخطيئة ويموت عن الحقّ**.

بالصلوات والدموع والتحرُّر من الأهواء، توسَّلْ إلى الله لأن يرسل لك مُعلّمًا قديسًا. ادرسْ أيضًا الكتب المقدسة، خاصةً **كتابات الآباء القديسين العملية** لكي تقارنها بما يعلّمه إياك معلّمك ومؤدّبك. وهكذا سوف ترى كما في مرآة إلى أيِ مدى تتطابق. احفظْ في أفكارك ما يتطابق مع الكتابات الإلهية. وبعد تأنٍّ حكيم ضعْ جانبًا ما لا يتطابق **حتّى لا تسقط في الخطيئة**.

إن الازدياد من معرفة الله يقلّل الاهتمام بما عداها. بقدر ما يزداد الرجل معرفةً بالله يقلّ اهتمامه بالأمور الأخرى. ويزداد إدراكه لقلّة معرفته بالله وضوحًا. بقدر ما يشعّ الله لامعًا في نفس الإنسان يصير أكثر احتجابًا، وبقدر ما يحلّق الإنسان بحسّه فوق أحاسيسه تقلّ حاجته **إلى الإحساس بالأمور الخارجية**.

ما هي معاينة الله؟

القديس غريغوريوس اللاهوتي

ليست معاينة الله من عالم العواطف، ولا من الحسّ البصري، بل هي الوحدة الوجودية واحتكاك الخليقة المخلوقة مع الكائن غير المخلوق، ليس مع جوهره أو مادته بل مع قواه الإلهية، على قياس الشخص الذي يشترك في المعاينة.

عندما طلب موسى أن يرى الله لكونه تخيّل أنَّ ذلك باستطاعته، سَمِعَ منه أنَّ هذا مستحيل وليس له إلَّا أن يعجب برؤيته من الخلف، ما يعني قواه الإلهية وصفاته.

كلّ مَن كان له أن يعاين الله يشهد بأن لا تشابه بين العالم المخلوق والكائن غير المخلوق وأنّه « من المستحيل تفسير الله والأكثر استحالة هو فهمه ».

والآن أيها الأحباء، أَوَدّ أن أقول كلمة عن التقليد القديم ومنفعة السَّهر. من السهل الشروع في عمل ما، عندما نضع أمام أَعْيُنِنَا كَمْ هو مفيد لنا. الإخلاص للسَّهر هو أمرٌ قديم جدًّا. لقد كان تقليدٌ مألوفٌ جدًّا بين القديسين. **النبي إشعيا** هو الذي صرخ إلى الرَّب قائلًا: « بِنَفْسِي اشْتَهَيْتُكَ فِي اللَّيْلِ. أَيْضًا بِرُوحِي فِي دَاخِلِي إِلَيْكَ أَبْتَكِرُ» (إش ٢٦:٩).

داود الذي مُسِحَ مَسْحًا مُضاعفًا كَمَلِك ونبيّ، بدأ هكذا بالترنيمة: «يَا رَبُّ إِلهَ خَلاَصِي، بِالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ صَرَخْتُ أَمَامَكَ» (مز٨٨:١)، ويقول أيضًا: «ذَكَرْتُ فِي اللَّيْلِ اسْمَكَ يَا رَبُّ، وَحَفِظْتُ شَرِيعَتَكَ» (مز ١١٨:٥٥). ربما تعتقد أنه كان في السَّرير عندما غنَّى هذه المزامير. فبعض الناس الأكثر كَسَلًا يظنون أنه إذا صَلَّى الشَّخص في السَّرير وردَّد مزمور أو ما شابه، هذا كافٍ. بالطبع، لا شيء خاطئ في ذلك، لأنه من الجيِّد للنفس أن تفكر في الله في أي وقتٍ كان، وفي أيِّ مكان. ولكن لإثبات أنه من الأفضل النهوض قبل أن يضع الإنسان نفسه في حضرة الله، لنأخذ تعبير آخر لداود النبيّ، حيث يوضح الوقت والمكان وإسلوب الصلاة: «بِاللَّيَالِيَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ نَحْوَ الْقُدْسِ، وَبَارِكُوا الرَّبَّ» (مز١٣٤:٢)، ولئلا تظنون أنه يقصد الساعات الأولى فقط **من الليل**، يسرع ويقول: «فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَقُومُ لأَحْمَدَكَ عَلَى أَحْكَامِ بِرِّكَ.» (مز ١١٨:٦٢). هنا نجد وقت القيام بشكل واضح، واللياقة الواجبة عند تقديم الحمد والإعتراف لله.

كُلما أتأمل أكثر في فكر القديسين، أنتبه بالأكثر إلى ما هو عالٍ وفائق لقدرات الطبيعة الإنسانيَّة. لنتذكر ما قاله صاحب المزامير: «إِنِّي لا أَدْخُل إِلَى مَسْكَنِ بَيْتِي، ولا أَصْعَدُ عَلَى سَرِيرِ فِرَاشِي. ولا أُعْطِي نَوْماً لِعَيْنِي، ولا نُعاسًا لأَجْفَانِي، ولا راحَةً لصدْغي. إِلَى أَنْ أَجِدَ مَوْضِعًا لِلرَّبِّ، ومَسْكَنًا لإِلَهِ يَعْقوبَ.» (مز١٣١:٣-٥). مَنْ لَا يندهش ويتعجب أمام مثل هذه المحبة لله، ومثل هذا التكريس القلبي، الذي يجعل **مَلِكًا وَنَبِيًا** يحرم نفسه من النوم – ما هو ضروري جدًا للنشاط الجسدي – إلى أن يجد موضعًا لكي يبني هيكلًا للرب؟! هذه الحقيقة، تُقدم عتابًا شديدًا لنا، نحن الذين نشتاق أن نكون موضع سُكنى للرَّب، وأن نُحسب كموضع خيمته وهيكله إلى الأبد. كما يُذكرنا بولس الرسول: « أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟» (١ كو ٣: ١٦). هَلُمَّ إذا نلتهب غيرة بمثال القديسين ونحب الأسهار بأقصى طاقتنا. فلا يُقال عنَّا ما قيل في المزمور: «نَامَ رُقَادُهم كُل رِجَالِ الغِنَى ولَمْ يَجِدُوا فِي أَيْدِهِم شَيْئًا» (مز٧٥:٦). بل بالأحرى، ليكن كل واحد منّا مسرورٌ أن يقول: «فِي يَوْمِ حُزْنِي الْتَمَسْتُ اللهَ وَيَدِي بِاللَّيْلِ قُدَّامَهُ بَسَطتُ وَلَمْ اخِلْ.» (مز٧٦:٢) ، إذ أنه «حَسَنٌ هُوَ الْحَمْدُ لِلرَّبِّ وَالتَّرَنُّمُ لاسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ.أَنْ يُخْبَرَ بِرَحْمَتِكَ فِي الْغَدَاةِ، وَأَمَانَتِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» (مز٩٢:١-٢). هذه الأفكار، وأفكار كثيرة أخرى، تركها لنا القديسين في ترانيم وكتابات أخرى، حتى نتحرك نحن وَرَثَتُهُم بمثل هذه الأمثلة، **ونحتفل في الليل بأسهار خلاصنا**.

الآن **من العهد القديم إلى الجديد**، من **خدام الناموس إلى خدام الإنجيل**، إذ أن نعمة السَّهر يؤكدها العهد الجديد أيضًا. أنه مكتوب في الإنجيل أنَّ **حنَّة بنت فنوئيل** كانت «لاَ تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ، عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطِلِبَاتٍ لَيْلًا وَنَهَارًا» (لوقا٢:٣٧). وبينما كان **الرُّعاة الأتقياء** يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، كافأهم الرَّب بأن يكونوا أوَّل من رأوا الملائكة في المجد، وأن يسمعوا عن ولادة السيِّد المسيح على الأرض (لو ٢). أيضًا بالنسبة لتعاليم مخلصنا، كان الرَّب دائمًا يحثّ سامعيه على السَّهر. لنأخذ ما قاله في مثل الزارع: «وَفِيمَا النَّاسُ نِيَامٌ جَاءَ عَدُوُّهُ وَزَرَعَ زَوَانًا فِي وَسْطِ الْحِنْطَةِ وَمَضَى» (متى١٣:٢٥). فلو **لم يكونوا نائمين**، ما كان **العدو قد أستطاع أن يزرع الزوان**. ولننتبه أيضًا لكلامه في موضع آخر: «لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمَنْطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً، وَأَنْتُمْ مِثْلُ أُنَاسٍ يَنْتَظِرُونَ سَيِّدَهُمْ مَتَى يَرْجِعُ مِنَ الْعُرْسِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتَحُونَ لَهُ لِلْوَقْتِ. طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ ...

وَإِنْ أَتَى فِي الْهَزِيعِ الثَّانِي أَوْ أَتَى فِي الْهَزِيعِ الثَّالِثِ وَوَجَدَهُمْ هكَذَا، فَطُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ ... فَكُونُوا أَنْتُمْ إِذًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ» (لو١٢: ٣٥-٤٠). وفيما يتعلق بالسَّهر، ما علَّمه الرَّب بالكلام أكده أيضًا بالمثال. يشهد الإنجيل على حقيقة أنه «قَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ للهِ.» (لو٦: ١٢). لم يحفظ الرَّب السَّهر الليّلي من أجل ذاته، بل لكي يتعلم عبيده – الفقراء والضعفاء – ما يجب أن يفعلوه، برؤيتهم الرَّب الغنيّ يُصلِّي – التي ليست له حاجة إليها – ويقضي بعزم وتصميم طوال الليل كله في الصلاة. لذلك نراه يُوَبِّخ **بطرس** في وقت الآلام قائلًا: «أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟» (متى٢٦: ٤٠)، ثم قال لجميعهم: «اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ.» (متى٢٦: ٤١). والآن أسألكم هل هناك شخص لا توقظه مثل هذه الكلمات والأمثلة، **حتى ولو كان نائمًا نومًا عميقًا كالأموات؟!**

وقد عَلَّمَ الرُّسل المباركين بكلمات مثل هذه، وشدَّدوا الناس بمثل هذه الأمثلة، **ومارسوا السَّهر الروحي بأنفسهم وأوصوا الناس به**. عندما كان **بطرس** في السجن، أيقظه **ملاكٌ**، وعندما انفتح الباب الحديد جاء إلى بيت مريم «حَيْثُ كَانَ كَثِيرُونَ مُجْتَمِعِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ.» (أع ١٢: ١٢)، وكانوا **لا يَغُطُّون في نومٍ عميقٍ بل يُصَلُّون** . أنَّه **بطرس** هو الذي وضع هذه الكلمات في رسالته: «أُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ.» (١بط٥: ٨). وأيضًا عندما كان «بُولُسُ وَسِيلاَ يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ اللهَ، وَالْمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا. فَحَدَثَ بَغْتَةً زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَتَّى تَزَعْزَعَتْ أَسَاسَاتُ السِّجْنِ ، فَانْفَتَحَتْ فِي الْحَالِ الأَبْوَابُ كُلُّهَا، وَانْفَكَّتْ قُيُودُ الْجَمِيعِ.» (أع ١٦: ٢٥-٢٦). **الرسول بولس المبارك** أيضًا في **ترواس**، عندما كان «مُزْمِعٌ أَنْ يَمْضِيَ فِي الْغَدِ، وَأَطَالَ الْكَلاَمَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ. وَكَانَتْ مَصَابِيحُ كَثِيرَةٌ فِي الْعِلِّيَّةِ الَّتِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهَا. وَكَانَ شَابٌّ اسْمُهُ أَفْتِيخُوسُ جَالِسًا فِي الطَّاقَةِ مُتَثَقِّلاً بِنَوْمٍ عَمِيقٍ. وَإِذْ كَانَ بُولُسُ يُخَاطِبُ خِطَابًا طَوِيلاً، غَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ فَسَقَطَ مِنَ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ إِلَى أَسْفَلُ، وَحُمِلَ مَيِّتًا... وبعدما أعيد للحياة مرة أخرى، أكمل بولس كلامه، «وَتَكَلَّمَ كَثِيرًا إِلَى الْفَجْرِ.»، ثم سافر بولس (أع ٢٠: ٧-١١). وفي كلامه إلى **أهل تسالونيكي**، كان واضحًا في حثِّه الناس على ممارسة الأسهار: «فَلاَ نَنَمْ إِذًا كَالْبَاقِينَ، بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحُ. لأَنَّ الَّذِينَ يَنَامُونَ فَبِاللَّيْلِ يَنَامُونَ، وَالَّذِينَ يَسْكَرُونَ فَبِاللَّيْلِ يَسْكَرُونَ. وَأَمَّا نَحْنُ الَّذِينَ مِنْ نَهَارٍ، فَلْنَصْحُ لاَبِسِينَ دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ، وَخُوذَةً هِيَ رَجَاءُ الْخَلاَصِ.»، ثم يكمل بهذه الكلمات الرائعة: «حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَهُ.» (١تس ٤: ٥-١٠)، **وللكورنثيين** يكتب: «اسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالاً، تَقَوَّوْا.» (١كو ١٦: ١٣).

أتمنى أن أكون قد قلت ما فيه الكفاية عن **التقليد القديم والأصيل** الذي للسَّهر الرُّوحي. يجب أن أنتقل الآن للنقطة التالية، وأقول كلمة عن فائدة الأسهار، بالرَّغم من أنَّه من الأفضل اختبارها بالتجربة عوضًا عن الكلام. إذ يجب علينا أن نذوق نحن أنفسنا – كما يقول الكتاب – «ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!» (مز٣٣: ٨). أنه فقط الشَّخص الذي يَتَذَوَّق، يُدرك ويشعر مقدار الثِّقَل الذي يُرفَّع من قلوبنا، ومقدار الكسل الذي نتخلص منه، عندما نسهر، ومقدار **النُّور الذي يفيض في نفس الشخص الذي يسهر وَيُصَلِّي**، ومقدار النعمة والحضور الإلهي الذي يملأ كل عضو بالبهجة والفرح. **بالسَّهر الروحي**، يُطرد كل خوف بعيدًا، وتتولد الثقة، **ويضعف الإنسان العتيق، وتتبدَّد الرَّذائل، وتتقوَّى المحبة، وتختفي الحماقة**، والتعقل يأخذ مكانها، يصير الذهن حادًا، ويقل الخطأ، **ويُجرح الشيطان – محرضنا على الخطية** – بسيف الروح. **هل هناك شيء نحتاجه أكثر من هذه الفوائد؟ هل هناك مكسب أعظم من هذه المكاسب؟ هل هناك شيء أحلى من هذه البهجة؟ أو أكثر بركة من هذه السعادة؟**

أحتاج فقط أن استدعي شهادة **النبيّ** الذي في بداية مزاميره يصف الرَّجل السعيد، ويُشير إلى هنائه الفائق هكذا: «وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلاً» (مز١: ٢). لا شَكَّ أنَّ اللّهج والتأمل أثناء النهار أمرٌ جيِّد، لكنه في الليل يكون أفضل. أثناء النهار، هناك صخب اهتماماتنا العديدة، وهناك تشريد للذهن الناتج من وظائفنا. فالإنهماك في أكثر من شيء يُقسِّم انتباهنا. لذلك الهدوء والخلوة في الليل يجعله وقتًا مناسبًا للصلاة، وأكثر ملائمة لممارسة السَّهر الروحي. وبوضع الوظائف الدنيوية جانبًا، وبانتباه غير منقسم، يقف في الليل الشخص منجمعًا في الحضرة الإلهية.

إنَّ **الشيطان ماهر دائمًا في تقليد ومحاكاة الأمور المقدسة**. لقد أعطى أتباعه ليس فقط أصوام **بل أيضًا بتولية باطلة ومعمودية باطلة**. وقد نسخ أيضًا هذه الخدمة المقدسة، وأعطى **أسهار ليلية** لأتباعه المأسوف عليهم. على أية حال، البعض منّا الذي لم يتحرك نحو ممارسة الأسهار المقدَّسة، يجب عليه على الأقل أن لا يزعم بأن الأسهار تتعارض مع خدمة الله لكونها من الممكن محاكاتها **من قِبَل الشيطان**. إنَّ الحقيقة هي **أنَّ الشيطان** ما كان قد نسخ هذه الأمور لخداع أتباعه، ما لم يكن يدرك بأي مقدار يُسَّر الله بهذه الأسهار، وأي مقدار من البركة يحصل عليه أولئك الذين يمارسون **السَّهر الروحي**.

أيها الأخوة الأعزاء، ليكن الشخص السَّهران بعينيه سهران أيضًا بقلبه، وليُصَلِّي ليس فقط بشفتيه بل بذهنه أيضًا. فما المنفعة من إبقاء العين مفتوحة **بينما النفس نائمة**. أمَّا العكس فهو صحيح، كما يشهد الكتاب المقدس عندما يتكلم **بأسم الكنيسة**:«أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ.» (نش٥: ٢) ... ولا حاجة للقول، أن الإنسان الذي ينوي السَّهر يجب عليه **ألَّا يملأ معدته بالطعام أو الشراب أكثر من اللازم**. لذلك، مثل شخص أوشك على تأدية مُهمة إلهية، يجب أن نستعد قبل الوقت **بالصوم**، حتى نكون مُستعدين للسَّهر بكل يقظة. ويجب أن يطرح المصَلِّي بعيدًا كل **فكرٍ شرير** حتى لا تكن صلاته **خطية** «إِذَا حُوكِمَ فَلْيَخْرُجْ مُذْنِبًا، وَصَلاَتُهُ فَلْتَكُنْ خَطِيَّةً.» (مز١٠٨: ٧). إن بعض الأسهار **من عمل الشيطان**، كما نرى في سفر الأمثال: «لأَنَّهُمْ لاَ يَنَامُونَ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا سُوءًا، وَيُنْزَعُ نَوْمُهُمْ إِنْ لَمْ يُسْقِطُوا أَحَدًا.» (أم ٤: ١٦)، لتكن مثل هذه الأسهار المشينة بعيدة كل البعد عنا. آمين

الشيخ ثيوذوسيوس من أوبتينا

نقلتها إلى العربية علا مقصود

انحفرت واحدة من حلقات حياتنا في أتراسكا في ذاكرتي بشكل خاص، وتركت أثرًا في كُلِّ حياتي. هذه الحلقة مرتبطة بزيارة **سيادة الاسقف يعقوب، أسقف سارتوف ومن ثم رئيس أساقفة نافوغورود.**

قام **الأسقف** بزيارة **أتراسك** خلال الجولة في أبرشيته. وأقام خدمة القداس الإلهي في الكاتدرائية. كان متعلمًا تعليمًا عاليًا وكان دائمًا يقدم عظته ارتجاليًا بدون أوراق ملاحظات، لذلك لم يترك أثرًا في تاريخ الوعظ الكنسي.

أحبه الناس واستمعوا لعظاته بالكثير من التقديس.

البساطة والدفء النابع من القلب في عظاته كانا استثنائيين، وقريبين من قلوب الناس، لذلك اخترق قلوبهم بعمق. حتى أنا، الصبي الصغير في الحادية عشرة من عمري احفظ في ذاكرتي واحدة منها. أتمنى الآن أن اسجلها في مذكراتي.

اعتبره الناس **قديسًا** وهكذا كان هذا الرجل المقدس. بعد الاحتفال بالقداس الإلهي في كاتدرائية أتراسكا صعد إلى المنبر، ونظر إلى الناس بنظرته الثاقبة. فرأى في وسطهم أطفالًا وكنت أنا من بينهم، فقال أيُّها الأولاد تعالوا بقربي.

تقدّم العديد إليه ووقفوا أمامه. كنتُ أنا واقفًا مواجهًا له تمامًا فعندما بدأ يتحدث بدا وكأنه يوجه الحديث لي أنا شخصيًا.

«أريد أن أُحدثكم أيها الأولاد عن الصلاة. هل تعرفون كيف تدربون أنفسكم على الصلاة؟ أولًا عليكم بالصلاة قليلًا لكن بشكل مُتكرِّر قدر الإمكان. الصلاة مثل الشعلة ، مع الوقت مِنَ الممكن أن تتحوَّل إلى **لهبٍ عظيم**. لكن لإشعال هذا اللهب يجب أن يكون لدينا مثابرة وحماسة، وأيضًا وقت ومهارة. دعونا نأخذ مثالًا: **قطعتين من الفحم. الأولى مشتعلة جدًّا وحمراء. والأخرى ما تزال مُطفأة.** حاولوا أن تشعلوا القطعة المطفأة من القطعة الأخرى. ماذا عليكم أن تفعلوا؟ عليكم أن تضعوا الباردة قرب المشتعلة لكن وضعهما بجانب بعضهما لا يُشعل القطعة الباردة بهذه البساطة، إلَّا إذا نفختم بِرِقَّة وباستمرار عليهما، إذا نفختم بشدَّة ستزداد الشعلة. لكن قطعة الفحم الباردة لن تشتعل، وجهدكم سيكون هباء، لكن إذا نفختم قطعة الفحم المشتعلة باستمرار وبرِقّة، فقريبًا ستشتعل قطعة الفحم كلها. من ثم ليس فقط هاتان القطعتان ستشتعلان، فإذا أبعدنا بينهما بمسافة معينة فكلُ ما يُوضَع بينهما سيشتعل. وبعد ذلك سينتشر وكأنه **بحرٌ من اللهب**.

لكن فكروا معي. كم من الوقت يلزم لإشعال مدفأة بواسطة قطعة حطب رطبة أو اشعال قطعة فحم مبلّلة. كم يتطلب هذا جُهدًا ووقتًا وصبرًا وأكثر مواظبة، وهكذا أريد أن أقول **لكم يا أولادي: الصلاة نار**، وأكثر من هذا هي **جمرة محترقة**، إذا كانت قلوبنا جمرة مطفأة، علينا أن نُصلي في كل يوم، هذا يشبه تمامًا أن نضع **جمرة قلوبنا المطفأة** بجانب **الجمرة** المحترقة **للصلاة** وأن ننفخ فيها قليلًا قليلًا مع الوقت. صدقوني **يا أولاد** إذا استمعتم إليّ وَصَلَّيْتُم قليلًا كل يوم لكن بثبات فقلوبكم ستصبح مشتعلة من **لهبِ ألحب الإلهي**، وتذكروا أيضًا بعد هذه الانفجارات سيأتي كَسَلٌ لكن ليس بهذه الشعلة ستشعلون قلوبكم.

ابدأوا هكذا: أولًا قوموا بثلاث سجدات مع هذه الكلمات (يا رب يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطىء)، ومجددًا سجدة (يا جميع القديسين تشفعوا بي أنا الخاطىء) ومجددًا سجدة. وسيكون هذا كافيًا لكم: وفي اليوم التالي كرّروها بدون كَلَلٍ وهكذا يومًا بعد يوم ومن ثم **يا أولاد** ستلاحظون أن الملل يبدأ وكأن هذه الصلاة أصبحت عِبئًا ثقيلًا عليكم، لكن إذا أصررتم وقمتم بهذه السجدات الثلاث ستلاحظون أنكم بدلًا من ثلاث سجدات فقط سترغبون بالمزيد. ومن ثم الصلاة ستطلب الزيادة لنفسها وهذا سيعني أن قطعة الفحم الباردة في القلب تبدأ بالاشتعال **بحبّ الله**. والمثابرة بجهودكم تبدأ تُعطي ثمارها ومنها سينتج العطش لمزيد من الصلاة.

«اختبروا أقوالي **أيها الأولاد** ستعرفون بأنفسكم أنه تمامًا مثلما أخبرتكم. إهْرَعُوا إلى الرَّب كما إلى أمهاتكم. هو طَيِّب ويعرف الجميع. يحبنا كما الأم تحب أبناءها. وإذا طلبتم منه فهو يسمعكم ويحقِّق طلباتكم، إذا لم تتعارض مع إرادته المقدسة، فهو قال (اسألوا تعطوا)، ولذا اركضوا إليه بإصرار مع كل احتياجاتكم: عند الذهاب إلى المدرسة اركعوا على ركبكم لكن في مكان لا يراكم فيه سوى الله، واطلبوا منه أن ينير عقولكم وذاكرتكم وسترون أنكم ستكونون قادرين على تعلم الدروس بشكل أسرع وأسهل من الآخرين وحتى أسرع من أنفسكم عندما لم تكونوا تعودون إلى الله في هذا الموضوع. افعلوا هذا قبل البدء بأي شيء آخر.

صلوا يا أولاد صلوا بشكل متكرِّر، سامحوا هؤلاء الذين آذوكم، والله إله السلام سيكون معكم، في كل نهار وليلة. **توبوا أمام الله** عن كل خطيئة اقترفتموها، والتمسوا طيبته. حاولوا ألَّا تُخطئوا بهذا مرة أخرى. وإذا وقعتم مُجددًا بالخطيئة بطريقة ما فَمُجدَّدًا ومباشَرَةً توبوا وقولوا «**يا رب أنا أخطأت، لتكن رحمتك علينا، ساعدني كي أُصحح طرقي**» فسيسامحكم الله ويساعدكم على التغير، صلوا بشكل متكرِّر **لله يا أولاد** وهو يحفظكم.

هذا الدرس طُبع في ذاكرتي، وعلى الرغم من مرور العديد من السنوات ما أزال احتفظ به وكأنني أقرأ من كتاب. عندما **أنهى الأسقف العظة**، أخذت بركته، ومن ليلة ذلك اليوم المذكور بدأت يوميًا أقوم بثلاث سجدات **للرب يسوع المسيح، لوالدة الإله** ولجميع القديسين.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الفصل السابع

«فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ، فِي أَسْهَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ، فِي أَصْوَامٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذلِكَ: التَّرَاكُمُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ، الاهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ. مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لاَ أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لاَ أَلْتَهِبُ؟» (٢ كورنثوس ١١: ٢٧-٢٩)

بعدَ أن استراحت نفسه قليلًا، عادَ الى مُتابعة حياته اليوميَّة والسَّير في طريق الواجب والمسؤوليَّة. وصارَ وقت فراغه قصيرًا جدًّا: بالكاد كان يتوصَّل قرابة نصف الليل الى الانفراد بنفسه في «الهدوء». وقد تكدَّست لديه مجموعة مخطوطات تناول فيها **إمَّا العقيدة الأرثوذكسيَّة أو مواضيع لاهوتيَّة متفرقة**. وكان بعضها دون تنسيق والبعض الآخر غير مُنجَز.

وفي تلك السنة سَمَحَ الرَّب بأن يأتي ألم الاخرين ليقرع باب نكتاريوس. لقد أحَسَّ به الناس رغم الأسوار العالية التي يعلِّم وراءها. وقَصَدوه طالبين عطفه ومساعدته. وتوافدوا إليه الواحد بعد الآخر بخفر. وصار كُل وجه أليفًا بالنسبة إليه، صارَ كُل وجَهٍ وجه قريبه. وهكذا أصبَحَ جميع أنواع الناس أقرباءه، مجموعات أو أفرادًا، لا فَرق... فقد اعتاد اقتبال الألم من حيثُ يأتِي، من قريب أو من بعيد. وكان هذا نُسكه، والنظام القاسي الذي اقتبله دون تذمُّر، وفاءً لذكرى جدَّته.

ففي أحد الأيام الغابرة **طَرَقَ الموت** باب جارةٍ له ليحمل أولادها الثلاثة الصغار **بوباء التيفوئيد**. فأرادت أن تسمّم لنفسها، ثمَّ أمسكت بأيقونة السيِّد وراحت تسأله: «لِمَ فَعَلتَ بي هذا؟» وهنا بدأت جدّة نكتاريوس ترتجف، وقالت له:

– «إنّه الألم، الألم يا بُنيّ، الألم».

ثُمَّ قَبَّلت الجارة بحنان وانحنت وهَمَسَت في أذنها قائلة:

– « إنَّ حُزنك هو حُزني. لا يا ابنتي، يجب ألَّا نسأل الرَّب أبَدًا «لماذا»، فنحنُ لا نَرى الأشياء إلَّا بطريقة ضبابيَّة. أمَّا هو فهو «العين» التي تُبصِر كُل شيء».

كان مبدأ الألم برأي نكتاريوس هو تعليم المرء العيش بحريّة. فلا شك أنَّ جُزءًا كبيرًا من الآلام والأحزان تنتج عن إرادة الإنسان نفسه وأخطائه، وأحيانًا أُخرى عن مُصادفات حتميَّة أو العلاقة بين المسبّبات والنتائج. فعلى كُل إنسان أن يُصبح أهلًا للحريّة التي هي أعظم ما وهبه الخالق.

لقد أهرَقَ السيِّد دَمه على الصليب لتحرير خليقته **من شريعة الفساد**، ولإعطائِها الحريَّة أن تختار السير على طريق الملكوت. إنَّ نفس المؤمن تنبهر أمام عظمة الهِبَة التي قدَّمها الله إلى أفضل مخلوقاتِهِ ... إلَّا أنَّ الناس يُحاولون بشتَّى الوسائل أنْ يُبطِلوا حُرِّيتهم وأن يضعوها في القوالب ويُفقِدوها مزاياها الخاصة ويَجعلوا منها معبودة لهم.

لكن رغبة الأب السَّماوي كانت ولا تزال، في أنْ يزرع الإنسان **في حديقة قلبه زهرة الحريَّة الرَّائعة**، وأن يسير نحو النضوج بالمعاشرة المستمرّة لأستاذه العظيم ورفيقه، **أي الألم**. فيكتسب الخبرة ويتعلَّم التمييز بين **الخير والشَّر**.

أَجَل لقد قَرَعَ القريب باب نكتاريوس بوجهه المألوف، وبدأ سُكان أثينا وجيران المدرسة وغيرهم يتعرَّفون إليه. لقد كان نكتاريوس يبحث عن الوحدة، لكن الشهرة طاردته. وصاروا يتوافدون إليه لطلب النُّصح والاعتراف ... هذا عدا جميع مُشكلات الطلاب العائليَّة التي كان عليه أن يجد لها الحلول السريعة! الألم، الألم ...

وفي تلك السنة أيضًا، وبالإضافة إلى كُل تلك الانشغالات، اضطرَّ نكتاريوس لاستقبال مجموعات كبيرة من الجمعيات واللجان التي طرقت بابه طالبة مُساعدته في أعمالها المختلفة. كما حَصَلَ **حريق في سينوبيا الواقعة في آسيا الصُغرَى بقرب البحر الأسود**. ونقلت **صحيفة «الشرق»** الأخبار بشكل مأساوي. وقد توسَّلَ مدير الصحيفة إلى نكتاريوس ساجدًا وباكيًا، أن يفعل كُل ما بوسعه لأجل المشرَّدين من النساء والأطفال والعَجزة وجميع الذين يموتون من البَرد واليأس أمام أنقاض بيوتهم.

وفي مثل هذه الظروف يبطل المنطق والمخططات والأرقام، وتبقى المحبة والإرادة والتضحية لتفتح الدروب وتؤدي فجأة إلى تدفق النجدات من العَدَم.

وتأهَّبَ نكتاريوس للعمل، فراحَ يقرع الأبواب يمينًا وشمالًا طالبًا المساعدة، وجامعًا المال لهؤلاء المساكين. ورغم التعب الذي كان يشعر به عند حلول المساء. فقد كان يعجز عن الخلود للنوم بهدوء إنْ لم يَكُن قد فَعَلَ كُل ما بوسعه لتلبية هذه الحاجة الطارئة. وكان يفكِّر في نومه بجميع هؤلاء المشرَّدين والأطفال والرضَّع ...

الهدف – القديس يوحنا كرونشتادت

إذا كنت لا تريد أن تُستعبَد للأهواء والشيطان بشكل يومي، عليك أن تضع لنفسك هدفًا تضعه دائمًا في الاعتبار، وعليك أن تحاول تحقيقه، والتغلب على كل العقبات بمعونة الرَّبّ. ما هو هذا الهدف؟ إنه ملكوت الله.

الأرثوذكسيّة (٩٥)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وحياة الدهر الآتي

البرهان من خلال غريزة الإنسان

ليست العدالة والمحبّة فقط هُما اللتان تُبيِّنان وجود: «حياة الدهر الآتي»، بل أيضًا غريزة الإنسان. قال شخصٌ ما: «إنَّني لا أفهم حياة الدهر الآتي، كما أمكنني النجاح في أن أرفُض كل بُرهان على الحياة بعد الموت، ومع ذلك فأنَّني أتوقَّع حدُوثها». في واقع الأمر، لا يُؤمن أي شخص بموته الشخصي، وفي اللاشعور (العقل غير الواعي) كُل شخص مُقتنع بخلوده. وأظن أنَّ السبب هو أنَّ الله وَضَعَ الأبديَّة في قلب الإنسان. ويعتقد البعض أنَّ هذا الشعور الفِطري في الحياة الآتية هو ملامح صورة الله في الإنسان.

تقول **هيلين كيلّر** : «إنَّني أومِن بِخلود الرُّوح لأنَّه توجد لديَّ اشتياقات خالدة». أن يولد الإنسان باشتياقات خالدة وفي نفس الوقت ألَّا توجد له إمكانيات لتحقيقها، فهذا يتضَمَّن أن وجودنا هو ظاهرة غير مفهومة. إنّه وضَع «منافٍ للعقل» أن نعتَبر أنَّ النفس البشريَّة قد صُمِّمَت بهذه الدرجة من الرداءة حتَّى أنَّها تتناقَض بداخلها مع طموحاتها الأبديّة العميقة والمتعدِّدة.

غَرَسَ الله الرغبة القويَّة في الطيور المُهاجرة حتى متى جاءَ الخريف، فإنَّه حتى الطيور المحبوسة في أقفاصٍ نجدها تَضرب بأجنحتها بعنف كما لو كانت تُحاول أن تترك القفص إلى مكان بعيد، إنَّ الغريزة لا تَخدَع الطيور. فإنْ كان الله لا يَخدَع الطيور، فكيفَ يخدع الإنسان الذي زَرَعَ فيه هذه النَزعَة العارِمة نحو الحياة الأبديَّة؟ يُقال إنَّه عندما يُريد الله أن يَطبَع حقيقة في الإنسان، فإنَّه يَزرَع فِكرة هذه الحقيقة في غرائز الإنسان.

مِمَّا يَخلب اللُّب أن ندرس كيف تُعَبِّر الشعوب المُختلفة على مدى التاريخ عن شوقها للأبديَّة. فاليونانيُّون عندهم الحقول البَهِجة التي يَذهَب إليها الأبطال، الأرض التي لا توجد فيها ثلوج أو مَطَر أو عواصف أو دموع حيثُ تَهبّ الريح الغربيَّة عليها بلُطفٍ شديد وتتفَتَّح الأزهار الذهبيَّة. والمصريُّون القُدماء كانوا يدفنون مع موتاهم جميع أصناف الاثاث والادوات، بل وحتَّى أدوات الزينة أيضًا حتَّى يُمكن استخدامها في الحياة الأُخرى. والهندي لديه اعتقاد في الأرض الممتلئة صيدًا حتى يتمتَّع بصيدٍ ثمين مِلء مَسَرَّة قَلبه. وأهل الفايكنج (اسكندِناڤيا) عندهم **الفالهالا Valhalla** ، أداة الحَرب حيثُ يمكنهم اجتياز حروب أهليَّة رائعة طوال النهار ثمَّ يستريحون بالليل لِيُعاودوا الحرب. كذلك المسلِمُون لهم فردوسهم الخاص المليء بالملذَّات الحِسيَّة. يعتقد اليابانيون والهنود إلى الآن في تناسخ الأرواح والتي بمُقتضَاها لا يموت الميِّت ولكن تسكُن روحه بصورة غير مرئيّة مع أعضاء الأُسرة الأحياء، ومِن هنا كان سَبب وجودحجرة جانبيّة في كُل منزل حتَّى تعيش فيها أرواح الأقارب المُنتقلين. كما لا زال إلى الآن الصينيُّون لديهم العادة التي كانت سابقًا للإغريق القُدماء بِوَضع عُملة بين شَفَتَي الميِّت حتى يُمكنه أن يدفع الرُّسوم اللازمة للعبور إلى الضفة الأُخرى للنهر السَّماوي. والخلاصة مِن كُل ذالك هي: إمَّا أن يَكون الجنس البَشري قد فَقَدَ صَوابه حتَّى إنَّه أبقَى على هذه المواقِف تُجاه الموتَى، أو أنَّ الله قد وضَع حقًّا الأبديّة في روح الإنسان، حتَّى يَكون هناك حقًّا: «حياة الدهر الآتي».

شهادات شخصيَّة بخصوص الخلود

سُئِلَ **ويليام جيمس William James** الفيلسوف بجامعة هارفارد : «هل تُؤمِن بِخُلودِكَ الشَّخصي؟» فأجاب: «ليسَ إيمانًا قاطعًا ولكنه يَزداد ويَقوَى كُلَّما تقدَّمتُ في السِّن». ولمَّا سُئِلَ: «لماذا؟» أجابَ: «إنَّني أُصبِح الآن أكثر مواءمة للحياة». (**مواءمة «الأحياء»: حدوث تغيُّر في البناء أو الوظيفة أو الشكل في النبات أو الحيوان في بضعة أجيال، يزيد من قدرته على الحياة في بيئته أو التكيُّف معها– جمعية نور المسيح**). إنَّ ما يقوله **ويليام جيمس** يحمل في طيَّاته احتمالًا معقولًا بأنَّ النموّ يستمر بعد الموت، حيثُ إنَّه حقيقةً لا توجد حدود لمقدرة الإنسان على الاستمرار في النمو.

أمَّا الفيلسوف العظيم **عمانوئيل كانت Immanuel Kant** فيقول: «إنَّ الإنسان لا يُمكنه أن يبلغ ما ينبغي عليه أن يبلغهُ في هذه الحياة القصيرة مهما طالَت، لذلك فلابدّ مِن وجود حياة أُخرَى».

وقال **فيكتور هيجو Victor Hygo** بجرأة وبلا تردُّد أثناء احتضاره: «لن أقول عندما توافيني اللحظة الأخيرة إنَّني قد أتممتُ حياتي، إنَّ عَمَلِي اليومي سوفَ يبدأ غدًا ثانيةً، سوف يُغلَق الغَسَق لِيُفتَح ثانية في الشَفَق».

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

«... وبكنيسة واحدة مقدّسة جامعة ؛ وبقيامة الجسد والحياة الأبدية»

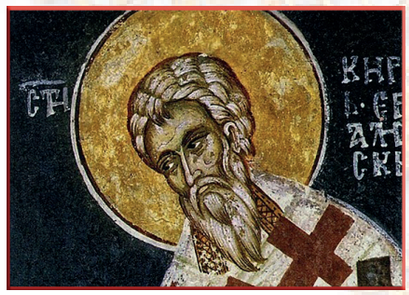

العظة الثامنةَ عشرةَ

٨) – مَثَل «العنقاء»

ولكن اليونانيين يطلبون قيامة ظاهرة للأموات، ويقولون: اذا كانت هذه المخلوقات قد قامت، فلأنَّها لم تَكُن قد تلاشت تمامًا، ويحاولون أن يَروا، بصفةٍ أكيدة، حيوانًا قامَ ثانيةً بعد تلاشيه. وإذ كان الله يعلم عدم إيمان البَشر، فقد خلَقَ طائرًا يُدعَى **العنقاء**. وهذا الطائر، كما كتب **إكليمندوس** (في رسالته الى الكورنثيين، فصل ٢٥) وكما يروي كثيرون غيره، فريدٌ في نوعه. فهو عندما يبلغ السنة الخمس مئة من عمره، يأتي الى بلاد مصر **ليُظهر القيامة**. انّه لا يأتي الى الأماكن الصحراويَّة خوفًا من أن يظلّ حدوث السرّ مجهولًا، بل يظهر في مدينة معروفة حتى يلمس الناس ما لا يُصَدَّق. ذلك أنَّه يبني عُشًّا من اللبان والمرّ والطيب، ويدخل فيه عند نهاية حياته ويموت ظاهريًا ويتلاشى. ثمّ تولد دودة من لحمه الفاسد، ولمَّا تكبر هذه الدودة تتحوَّل الى طائر. لا تنكر ذلك لأنك تراه عند صغار النحل التي تتكوَّن من ديدان. ولقد شاهدتُ ريش الطيور وعظامها وأعصابها المكوَّنة من بيض سائل. ثمَّ عندما تكتسي **العنقاء** المذكورة بالرِّيش وتُصبح كاملة كالسَّالفة، تُحلِّق في الجوّ كالأولى التي ماتت، مُظهرة للبشر **قيامة الموتى**. إن العنقاء طير عجيب، ولكنه طير غير عاقل لا يُسبِّح الله. فهو يخترق الجوّ طائرًا، ولكنه لا يعرف ابن الله الوحيد. وهكذا تُمنح **القيامة من الموت** لطائرٍ غير عاقل لا يعرف الخالق، ولنا نحن الذين يُمجِّدون الله ويعملون بوصاياه، **لا تُعطَى القيامة؟**

٩) – الله الذي خلقنا من أشياء ناقصة يستطيع أن يُقيمنا

ولكن بما أنَّ ظاهرة **العنقاء** نادرة وبعيدة المدى، فأنتَ لا تزال مُنكِرًا. إليكَ إذن مثل آخر في ما تَراه يوميًا: منذ مئة أو مئتي سنة أين كُنَّا، أنا الذي أتكلّم وأنتم السامعون؟ ألَا نعرف مبدأ الأجساد الذي يُكَوِّن قِوَامنا ؟ ألَا نعرف أنَّنا نولد من أشياء ضعيفة بسيطة لا شكل لها ؟ ومما كان بسيطًا وضعيفًا تكوَّن الانسان الحيّ. وما كان ضعيفًا أصبحَ جسدًا وتحوَّل إلى أعصاب متينة، وأعيُن مُنيرة، وأنف يشمّ، وآذان تسمع ولسان يتكلَّم وأيدٍ تعمل، وأرجلٍ تركض، وأعضاء متنوّعة. وما كان ضعيفًا أصبح مُهَندِسًا يبني السُّفن والمنازل، وصانعًا يُزاول مختلف المِهَن اليدويَّة، وجنديًا وأميرًا ومشترعًا وملكًا. والله الذي خلقنا من أشياء ناقصة، ألَا يستطيع أن يُقيمنا من الأموات ؟ والذي أوجَدَ ما لم يَكُن موجودًا، ألَا يُقيم ما هو موجود ومات ؟

١٠) – مَثَل القمر

ولك في السَّماء وفي النجوم دليلٌ ظاهرٌ على قيامة الأجساد، وهو دليلٌ يتأكَّد كل شهر. ذلك أنَّ القمر يستتر بكماله، بحيثُ لا يُرَى منه شيء. ثمَّ يعود فيَهِلّ ويتزايد حجمه حتَّى يسترِدّ حالته السابقة. ولإيضاح هذه الظاهرة على الوجه الأكمل وفقًا لدور السنين، **ينخسف** القمر ويتحوَّل ظاهريًا الى دم، ثمَّ يسترِدّ الجُرم ضياءه من جديد. وقد جعل الله الأمور تسير على هذا المنوال، لكي لا تكون أنتَ أيها الإنسان المكوّن من دم، غير مؤمن بقيامة الموتى ؛ بل تَراه يحدث في القمر، آمن بأنه سيحدث لك. إستخدم إذن هذه الأمثال ضدّ اليونانيين، إذ يجب أن تُقاتل الذين لا يقبلون الكُتب المقدَّسة بأسلحة غير كتابية، بل بالحجج والأدلّة، إذ هُم يجهلون مَن هُم **موسى وأشعياء والإنجيل وبولس**.

١١) – شهادة العهد القديم

ولننتقل الى السامريين الذين يقبلون الناموس ولا يعترفون بالأنبياء. فقراءة **حزقيال** التي تُلِيَت عليكم تبدو لهم بدون فائدة، لأنّهم، كما قُلت، لا يسلّمون بالأنبياء. كيف إذن نُقنع السامريين؟ لنبحث ما كُتِبَ في الناموس. **يقول الله لموسى**: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ» (خروج ٣:٦)، أي بالتأكيد إله مَن هُم لا يزالون في الوجود. لأنه لو كان **إبراهيم وإسحق ويعقوب** زالوا من الوجود، لكان الله إله من لا وجود لهم. كيف يستطيع ملك أن يقول: «أنا ملك جُنود» إن لم يَكُن له جنود؟ وكيف يستطيع إنسان أن يُظهر ثروة لا يملكها ؟ فلا بُدَّ إذن **لإبراهيم وإسحق ويعقوب** أن يكونوا في الوجود، حتَّى يكون الله إله الموجودين. إنه لم يَقُل «كُنتُ» إلههم، بل «أنا» إلههم، ولأن في الأمر دينونة، يقول **إبراهيم للرَّب**: «أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلًا؟» (تك ١٨:٢٥).